

٨٣-٨٤

بحوث مهمة عن الحضارة الإسلامية

١ - الحضارة الإسلامية ما هى؟ وماتأثيرها على الحضارة العالمية.؟

٢ -الإسلام والحضارة الغربية.

٣ - الحضارة الإنسانية بين التصوُّر الدينى والنظريات الوضعية.

٤ - الحضارة الإسلامية والفنون: الشعر الموسيقى والغناء - الرقص - التصوير والنحت والتجسيم - العمارة والزخرفة - التمثيل والسينما واعتزال الفنانات



تأليف
...مد شلبى
...العلوم - جامعة القاهرة
...الحائز لوسام «العلوم والفنون» من الطبقة الأولى
لكتاباته فى الدراسات الإسلامية

مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلى - القاهرة

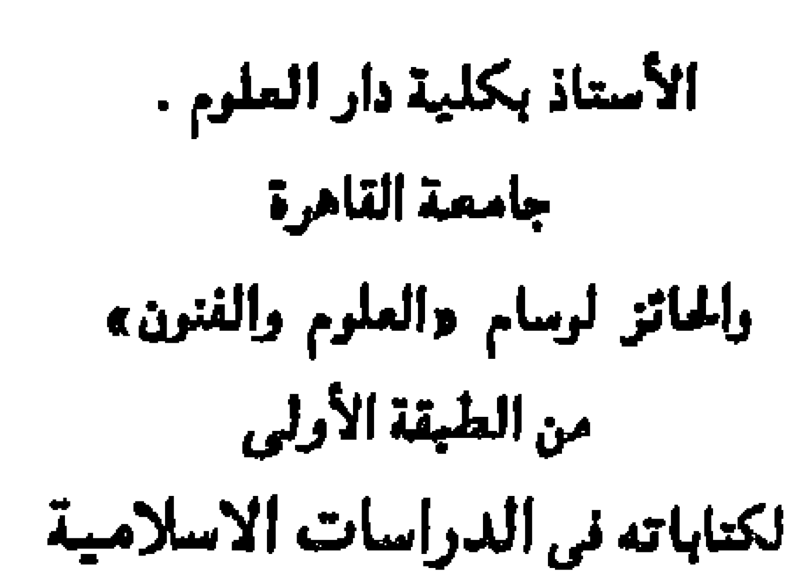
المكتبة الإسلامية لكل الأعمار
٨٣-٨٤

بحوث مهمة عن الحضارة الإسلامية

١ - الحضارة الإسلامية ما هى؟
وماتأثيرها على الحضارة العالمية.؟
٢ -الاسلام والحضارة الغربية.
٣ - الحضارة الإنسانية بين التصور الدينى والنظريات الوضعية.
٤ - الحضارة الإسلامية والفنون: الشعر الموسيقى والغناء - الرقص - التصوير والنحت والتجسيم - العمارة والزخرفة - التمثيل والسينما واعتزال الفنانات

تأليف

دكتور أحمد شلبى



الأستاذ بكلية دار العلوم .
جامعة القاهرة
والحائز لوسام «العلوم والفنون»
من الطبقة الأولى
لكتاباته فى الدراسات الاسلامية

الناشر
مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلى بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
ومن اتبعه

كتب للمؤلف

أولا: موسوعة التاريخ الإسلامي

دراسة تحليلية شاملة في عشرة مجلدات لتاريخ العالم الإسلامي كله، من مطلع الإسلام حتى الآن، مع دراسة الجوانب الحضارية التى حققتها الدول الإسلامية عبر التاريخ. (الطبعة الرابعة عشرة)

الجـــزء الأول : السيرة النبوية العطرة وعصر الخلفاء الراشدين.

الجـــزء الثاني : الدولة الأموية وإنصاف تاريخها.

الجـــزء الثالث : الخلافة العباسية والدور الحضارى خلال عصرها الأول.

الجـــزء الرابع : الأندلس الإسلامية، وانتقال الحضارة الاسلامية إلى أوروبا -المغرب-الجزائر-تونس-ليبيا من مطلع الإسلام حتى الآن.

الجـــزء الخامس : تاريخ مصر وسوريا من مطلع الإسلام حتى الآن-الحروب الصليبية-الامبراطورية العثمانية منذ ظهورها حتى الآن.- الأقليات الإسلامية في أوروبا والولايات المتحدة.

الجـــزء السادس : الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء أفريقية منذ دخلها الإسلام حتى الآن: موريتانيا-السنغال-جامبيا-غينيا-مالى-النيجر-نيجيريا-تشاد-السودان-الصومال-جيبوتى-جزر القمر - ارتيريا.

الجـــزء السابع : دول الجزيرة العربية والعراق من مطلع الإسلام حتى الآن: المملكة العربية السعودية - اليمن- عمان - دولة الامارات العربية قطر - البحرين - الكويت- ثم العراق (أحداث العراق والكويت: ١٩٩٠-١٩٩١).

الجـــزء الثامن : الدول الاسلامية غير العربية بآسيا
: إيران- أفغانستان - الباكستان- بنجلاديش- ماليزيا- إندونيسيا منذ دخلها الإسلام حتى الآن- الأقليات الاسلامية في الهند والصين وروسيا والفلبين.

الجـــزء التاسع : ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم. عصر جمال عبد الناصر
: عصر المظالم والهزائم.

الجـــزء العاشر : ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم: عصر أنور السادات.

ثانيا : موسوعة الحضارة الإسلامية

دراسة تحليلية شاملة في عشرة مجلدات تبرز الاتجاهات الحضارية التى جاء بها الإسلام لهداية البشرية فى شئون الفكر، والسياسة، والاقتصاد والعلاقات الدولية وفى مجال الحياة الاجتماعية والتربوية والتشريعية والقضائية والعسكرية، كما تبرز دورٌ المسلمين في الحضارة التجريبية كالطب والرياضة والفلك... (الطبعة العاشرة)

الجزء الأول : موجز عام للحضارة الإسلامية - المناهج الإسلامية : أصولها الصحيحة - انحرافاتها- وجوب تصحيحها.

الجزء الثانى : الفكر الإسلامى منابعه وآثاره.
مآثر المسلمين فى مجال الدراسات العلمية والفلسفية.

الجزء الثالث : السياسة فى الفكر الإسلامى-الشورى والمعارضة فى الإسلام مع بيان الفرق بينهما-مقارنة النظم السياسية الاسلامية بالنظم السياسية المعاصرة.

الجزء الرابع : الاقتصاد فى الفكر الاسلامى-مع المقارنة بالنظم الاقتصادية المعاصرة.

الجزء الخامس: التربية والتعليم فى الفكر الإسلامى.

الجزء السادس: المجتمع الاسلامى : تكوينه وعلاج مشكلاته فى الفكر الإسلامى.

الجزء السابع: الحياة الاجتماعية فى الفكر الإسلامى: نطاق الأسرة ونطاق المجتمع كالأفراح والمآتم والموسيقى والغناء.

الجزء الثامن : التشريع والقضاء فى الفكر الاسلامى.

الجزء التاسع : العلاقات الدولية فى الفكر الاسلامى.

الجزء العاشر : رحلة حياة:: تجربة تعرض مجموعة من قضايا الحضارة الإسلامية.

* * *

ثالثـــا : التفسير الميسّر للقرآن الكريم.

تفسير موجز وواضح يهدف لأن تفهم القرآن الكريم إذا قرأته أو سمعته، مع وقفات تفصيلية عند بعض القضايا القرآنية المهمة.

كتب المؤلف
ثالثاً : مقارنة الإديان

سلسة من الكتب فى مقارنة الأديان تعتمد على أدق المصادر بمختلف اللغات، وتمتاز دراستها بالجدة والعمق، وتشمل:

الجزء الأول : اليهودية : **(الطبعة العاشرة)**

- دراسة لشتى المسائل اليهودية: اليهود فى التاريخ من عهد ابراهيم حتى الآن- الصهيونية- أنبياء بنى إسرائيل، عقيدة بنى إسرائيل، يهوه اله بنى إسرائيل، التعدد والتوحيد فى الفكر اليهودى، التابوت والهيكل، الكهنة والقرابين...
- مصادر الفكر اليهودى : العهد القديم، التلمود، بروتوكولات حكماء صهيون.
- اليهود فى الظلام : الاغتيال، التجسس، الماسونية، الروتارى، الليونز–شهود يهوه، البابية والبهائية– من صور التشريع فى اليهودية.

الجزء الثانى : المسيحية: **(الطبعة العاشرة)**

- المسيح والمسيحية فى نظر المسلمين واليهود والمفكرين الغربيين والكنيسة.
- بولس واضع المسيحية الحالية، التثليث، صلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر.
- شعائر المسيحية، المصادر الحقيقية للمعتقدات المسيحية، المجامع، طبيعة المسيح والآراء فيها، الطوائف المسيحية، الرهبنة والأديرة، خرافة ظهور العذراء فى كنيسة الزيتون وغيرها، حركة الإصلاح الدينى ونتائجها ونقدها.

الجزء الثالث : الاسلام: **(الطبعة العاشرة)**

-الله فى التفكير الإسلامى، النبوة فى التفكير الاسلامى، غير المسلمين فى المجتمع الاسلامى الدين المعاملة، المرأة فى الاسلام، الرق وموقف الاسلام منه، السياسة والاقتصاد فى الاسلام. آراء المفكرين الغربيين فى الاسلام ورسول الاسلام.

الجزءالرابع : أديان الهند الكبرى: **(الطبعةالعاشرة)**

«الهندوسية–الجينية–البوذية»

- تقديم عن: جغرافية الهند، سكان الهند، اللغات فى الهند، الأديان فى الهند.
- دراسة الكتب المقدسة الهندية: الويدا، مهابهارتا: يرجاواسستها، كيتا.
- أهم العقائد الهندية: الكارما والتناسخ، الانطلاق والنرفانا، وحدة الوجود.
- تاريخ الهندوسية والجينية والبوذية وتاريخ واضعيها.

كتب المؤلف

خامسا : كتب فى الثقافة العامة وكتب بلغات أجنبية

٢٥- كيف تكتب بحثا أو رسالة.

دراسة منهجية لكتابة البحوث وإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه

(الطبعة الثانية والعشرون-مع ثلاثة ملاحق مهمة)

٢٦- الحروب الصليبية: بدؤها مع مطلع الاسلام، واستمرارها حتى الآن:

عرض للهجمات الصليبية الغربية عسكرياً وفكرياً على العالم الإسلامى عبر العصور.

٢٧- أحداث العراق والكويت: ماذا أبرزت من مشكلات، وما السبيل للتغلب عليها- دراسة تاريخية نفسية محايدة (الزهراء للإعلام العربى)

كتابان باللغة الانجليزية هما :

مكتبة النهضة المصرية

٢٨- ISLAM: Belief-Legislation-Morals

٢٩- History of Muslim Education

وباللغة الفرنسية :

٣٠- Islam: Croance-Legislation-Morale

وباللغة الاندونيسية والماليزية :

pustaka National (Singapord)

٣١ - Nearag dan Pemerintahan Dalam Islam

٣٢- Masjarakat Islam

٣٣- Hukum Islam

٣٤- Sedjarah dan Kebudajaan Islam I

٣٥- Sedjarah dan Kebudajaan Islam II

٣٦- Sedjarah dan Kebudajaan Islam III

٣٧- Perbandingan Agama (Jahudi)

٣٨- Perbandingan Agama (Masihi)

٣٩- Perbandingan (Islam)

٤٠- Perbandingan Agama (Agama2 ang Terbeser di Inia: Hindu-Jaina-Buddha)

٤١- Sadijarah Pendidikan Islam

٤٢- Politik dam Ekonomi Dalan Islam

٤٣ - Kehidupan Social Dalam Pemikiran Islam

٤٤- Perkembangan Keagamaan Dalam Islam dan Masehi

٤٥- Perang Salib

٤٦- Kurikulum Islam Dalam Perkembangan Sedjarah

٤٧- Pengajian AL Quraan

٤٨- Sedjarah Kchakiman Dalam Islam

كتب للمؤلف
خامسا : المكتبة الإسلامية لكل الأعمار

تخطيط لإخراج مائة كتاب في الدراسات الإسلامية المناسبة لكل الأعمار ظهر منها ٨٧ كتابا كالآتي:

المجموعة الأولى : السيرة النبوية العطرة	١٦ جزءا
المجموعة الثانية : العشرة المبشرون بالجنة	٧ أجزاء
المجموعة الثالثة : دراسات قرآنية	٥ أجزاء
المجموعة الرابعة : من قصص القرآن الكريم	٧ أجزاء
المجموعة الخامسة : الدولة الأموية: تاريخ يحتاج إلى إنصاف	٥ أجزاء
المجموعة السادسة :صراع وشهداء وانتصارات	٦ أجزاء
المجموعة السابعة : الإسلام والمرأة	٥ أجزاء
المجموعة الثامنة : شخصيات إسلامية مهمة	٥ أجزاء
المجموعة التاسعة : كتب التنوير الحقيقي :	٦ أجزاء

١- مدن اسلامية مقدسة : مكة-المدينة - القدس

٢- الاسلام : عقيدة وشريعة وأخلاق

٣-الرسول في بيته:زوجاته- أولاده- احفاده- خدمه.

٤- مع أنبياء الله من آدم إلى محمد ٢٥ نبياً.

٥- السيرة النبوية للناشئة

المجموعة العاشرة : كتب متفرقة

الميراث في الشريعة الإسلامية

بحوث مهمة عن الحضارة الإسلامية

تاريخ الطب في الاسلام

حركات فارسية ضد الاسلام والمسلمين عبر العصور:

الزنج- القرامطة- الزنادقة- البابية والبهائية

(الأجزاء الباقية ستظهر تباعا إن شاء الله)

مقدمة

هذا الكتاب يحوى مجموعة بحوث مهمة عن الحضارة الإسلامية ، ولهذه البحوث مناسبات نذكرها فيما يلى:

البحث الأول عن :
«الحضارة الاسلامية، ما هى؟ وما مدى تأثيرها على الحضارة العالمية»

وقد ألقيت خلاصة هذا البحث فى «بيت القرآن» بدولة البحرين فى رمضان سنة ١٤١٤ هـ بناء على دعوة وجهت لهذا الغرض، ثم طَلَبَ منى المشرفون على «بيت القرآن» خلاصةً مكتوبة لهذه المحاضرة لتكون ضمن وثائق المحاضرات التى تُلْقىَ فى هذا الصرح العظيم «بيت القرآن»، ورأيت أن يشمل هذا الكتاب

صورةً من هذا البحث حرصا على هذا العمل واعتزازا به، فهو خلاصة قصيرة لدراسات طويلة، وهى بالتأكيد لا تغنى عن الدراسات المفصّلة عن الحضارة الإسلاميةً التى دوّنتها فى موسوعة الحضارة الاسلامية (عشرة أجزاء)، ولكنها فكرة سريعة لمن ليس عنده وقت أو جهد لقراءة التفاصيل،فمثلا ذكرت فى هذا الموجز أن للإسلام نظاما خاصا فى السياسة والاقتصاد، والتربية...وفى الموسوعة خصصت جزءا منها لكل موضوع من هذه الموضوعات وهكذا.

البحث الثانى: عن:
«الإسلام والحضارة الغربية»

وهذا البحث كتبتُه بناء على طلب مركز الأهرام للترجمة والنشر ليكون ضمن إصدارات جريدة الأهرام الغراء عن: **فكر المسلم المعاصر، ما الذى يشغله؟**

وقد كان من الممكن أن أكتفى بصدوره عن صحيفة الأهرام، ولكن اتضح لى أن لقراء «المكتبة الإسلامية» جمهوراً خاصا يتابع حلقاتها وأجزاءها، مما جعل منَ الضرورى أن تشمل «المكتبةُ الإسلامية» هذا البحث ضمن أجزائها، وبخاصة أننى أضفت بعض الأفكار بعد تسليمه للأهرام.

البحث الثالث
«الحضارة الإنسانية بين التصوُّر الدينى والنظريات الوضعية»

وهذا البحث له ظروف تشبه ظروف البحث السابق، فقد كتبته استجابة لطلب الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية بلندن وأخذ طريقه لينشر ضمن أعمال هذه الجامعة، ولكن بقى حظ قراء «المكتبة الإسلامية» الذين يتابعون حلقاتها ويقتنون أجزاءها ودراساتها، فكان أن أدخلته ضمن بحوث هذا الكتاب

البحث الرابع
«الحضارة الإسلامية والفنون»

والفنون التى نعنيها هنا هى التى يقوم بها الإنسان ليستثير عاطفة الجمال، وهذه الفنون تشمل الشعر والموسيقى والغناء والرقص والتصوير، والنحت والتجسيم، والعمارة والزخرفة والتمثيل.

والاتجاهات الفكرية حول هذه الفنون مختلفة ومتباينة، ولذلك قمت بكتابة هذا البحث راجيا أن أحقَّ الحق حول هذه الاتجاهات.

***

الحضارة الإسلامية
ما هى؟ وما تأثيرها على الحضارة العالمية؟

الحضارة الاسلامية هى ما قدمة الإسلام والمسلمون للمجتمع البشرى من هبات وإرشادات وإنجازات.

وتنقسم الحضارة الإسلامية قسمين:-

١- حضارة إسلامية أصيلة أى جاء بها الإسلام ولم تكن معروفه قبل الإسلام، كرأى الإسلام فى المرأة وفى السياسة والاقتصاد والتربية والتعليم والعلاقات الدولية وغيرها.

٢- حضارة إسلامية تجريبيةٌ وهى ما قدمه المسلمون من تطوير فى ميدان العلوم التجريبية كالطب والرياضة والفلك والجغرافيا،..... وسميت هذه العلوم إسلامية- مع أن جذورها ترجع إلى ما قبل الإسلام بعدة قرون- لأن المسلمين هم الذين أعادوها للحياة أو أعادوا الحياة لها بعد أن توقف نشاطها تماما كما سنرى فيما بعد، وكانت عودتها للحياة مرتبطةً بتشجيع الخلفاء المسلمين وبتكاليف باهظة دفعتها خزانة الدولة الإسلامية وبجهد قدمه علماء المسلمين.

وسنتكلم عن الحضارة الإسلامية التجريبية أولا فهى أقدم من الحضارة الأصيلة.

الحضارة التجريبية

مواطن الحضارة التجريبية:

إن أهم مناطق الحضارة التجريبية هى بإيجاز :

١- **منطقة الخليج**: التى قيل عنها إنها مهد الحضارات، بل مهد الجنس البشرى، وسكان هذه المنطقة أول من مارسوا الملاحة وعملوا على نقل الحضارات من مكان إلى مكان، والخليجُ اندفاعةٌ ضخمة من المحيط الهندى، وولولاه لانقطعت عن العالم بلاد فارس والعراق والكويت، ويقول عنه ابن الوردى : إنه بحر مبارك، كثير الخير وطِئ الظهر، قليل الهيجان.

٢- **مصر** : ويقولون عنها إنها أم الحضارات، نشأ بها التاريخ والزراعة والتجارة وارتقى العلم لدرجة عالية جدا يصفها العالم المصرى الكبير الدكتور فاروق الباز يقوله: إن تقدم فراعنة العلمى تحار فيه القرائح حتى عصرنا الحاضر، وفى مصر عُرِف استئناس الحيوان، واختُرِع الورق وأُلفت الكتب وظهر التحنيط والطب والفلك، وبمصر حَدَثَ أول استقرار على الأرض لخصوبة أرضها وطيب هوائها وتدفق النيل فيها، وفى القاهرة توجد الأهرامات، وتوجد فى مصر المعابد وتوت عنخ آمون وأبو سنبل، وتتحدث الحضارة الإسلامية عن الأخلاق بمصر، وقد أشاد بريستيد فى

كتابه «فجر الضمير» بالأخلاق المصرية وذكر منها تحريمَ الكذبِ شهادةِ الزور، واحترامَ الجيران وتحريمَ السرقة وتقديسَ الأمِ واحترامَ الزوجة وتربيةَ الأولاد.

٣- **الفينيقيون:** على ساحل البحر الأبيض الشرقى، وقد برعوا فى عمل الزجاج وفى تأسيس المدن وصناعة النسيج وبناء الحصون. وابتكروا الحروف الهجائية

٤- **بابل وآشور:** وفى رحابها ظهرت قوانين حمورابى (١٩٤٠ق.م) وأنشئوا شبكة ريٍّ من دجلة والفرات إلى مناطق متعددة.

٥- **اليمن** : وقد كانت باليمن دولة سبأ وحمير وكانت لهما حضارة عظيمة.

قبسٌ من الحضارة الشرقية ينتقل لليونان:

وهذه الحضارة الشرقية القديمة انتقل جزء منها إلى بلاد اليونان، وعلى هذا يصدق كلام جورج سارتون ونصه: **إن من السذاجة أن نفترض أن العلم بدأ فى بلاد الإغريق لأن الفكر الإغريقى سبقته جهود عظيمة فى مصر وبلاد الخليج وبلاد**

النهرين، وكان العِلْم اليونانى إحياءً أكثر منه اختراعا.

ومثل هذا الكلام قاله طه حسين وألبرت فور وأبْرزَا أن العلم اليونانى قَبَسٌ من علوم الشرق العربى ومن مصر بوجه خاص، وأن الإنتاج الجماعى للكهنة فى مصر كان مما ساعد على إخفاء دور مصر، ويقرر طه حسين وهو ذو ثقافة يونانية واسعة أن اليونانيين يعترفون بهذه الحقيقة ويؤكدونها(١).

اختفاء الحضارات الشرقية القديمة :

وقبل ظهور المسيحية ضعفت هذه الحضارات بسبب زحف الرومان على مناطق الحضارات سواء فى الشرق العربى أو اليونان أى فى مصر وبلاد الخليج وأشور وبابل ولدى الفينيقين أو اليونان إذ لم يكن الرومان من حماة الحضارة فأهملوها،

ثم اختفت هذه الحضارات نهائيا عقب ظهور المسيحية لأن رجال الكنيسة قرروا ما يلى :-

١- الكتاب المقدّس به كل شئ، ولا حاجة للبشرية

---

(١) قادة الفكر ص ٤٤ - ٤٥

فى سواه، فكل ما سوى الكتاب المقدس باطل.

٢- اهتمت المسيحية بالخوارق تبعا لمعجزات السيد المسيح، وحاربت العلمَ بناء على ذلك، واتجهت النصوص المسيحية إلى ترك الدنيا والتطلع لملكوت السموات، وبهذا حاربت العلومَ التى لا تخدم الدين.

وحكمت بالإعدام على جاليليو (١٥٦٤-١٦٤٢م) لأنه قال إنه اكتشف دوران الأرض حول الشمس، كما أعدمت حرقا مايكل سرفتوس (١٥١٨-١٥٥٢م) لأنه قال إنه اكتشف الدورة الدموية مع أن العالم الدمشقى ابن النفيس (١٢٨٨م) اكتشفها قبله بأكثر من قرنين.

وتبعا لهذه المبادئ حرقت الكنيسةُ آلافَ الكتب فى الطب والعلوم، وحبست باقى الكتب فى دهاليز تحت الأرض حتى يأكلها الزمان كما يقول ابن نباتة المصرى[1].

وخلت الدنيا من مظاهر الحضارة قبيل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك يقول DINSON:

فى القرنين الخامس والسادس للميلاد لفظت

(١) ابن نباته المصرى: سرح العيون ص ٦٦ والفهرست لابن النديم ص ٣٣٣

الحضارة الإنسانية أنفاسها وأصبحت كشجرة تحطمت أغصانها وتساقطت أوراقها، وكانت هذه الحضارة نتاج آلاف من السنوات وخلا الجو من مظاهرالحضارة(١).

وبين مظاهر هذا الفساد وُلد الرجل الذى كان خير دواء لهذا الداء

وجاءت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرن السابع وجاءت معه الحضارة الإسلامية الأصيلة التى آن لنا أن نتحدث عنها :

الحضارة الإسلامية الأصيلة

عناصر الحضارة الإسلامية الرئيسية هى بكل الإيجاز :-

١- الوحدانية المطلقة فى مجال العقيدة.

٢- الأخلاق الإسلامية الرفيعة تبعا للقاعدة العامة (لا أخلاق بدون دين) فقد حارب الإسلام أخلاق الجاهلية وغرس أخلاقا جديدة.

٣- الشورى فى المجال السياسى تبعا لقوله تعالى: «وشاورهم فى الأمر»(٢) وقوله «وأمرهم شورى

(١) Emsotions of the Basis civiligation

(٢) آل عمران الآية ١٥٩

بينهم»(١).

٤- **الاقتصاد والعدالة الاجتماعية**، فالإسلام قرر حق العمل للقادر، وتتحمل الأمة مسئولية غير القادر، وقرر الإسلام حق الملكية الفردية، وحق التفاوت فيها، فالناس متفاوتون فيما هو أهم من المال كالصحة والذكاء والجمال، ونجاح الزواج والأولاد.

٥- **التربية والتعليم** : فقد أصبح التعليم حقا للجميع وواجبا على القادر، وكان التعليم من قبل وقفا على الكهنة.

٦- **حقوق المرأة** : مثل حقها فى اختيار زوجها وحقها فى الميراث والكسب وغيرها(٢).

٧- **تنظيم العلاقات الدولية** وان اختلف الدين، ومن هنا ظهرت المعاهدات والسفارات.

العصر العباسى الأول ودوره الحضارى :-

ينسب للعصر العباسى الأول عملان مهمان لخدمة الحضارة الإسلامية والإنسانية وهما :

---

(١) سورة الشورى الآية ٣٨

(٢) اقرا «الإسلام والمراة» حـ٤٧ - إلى حـ٥١ من المكتبة الإسلامية للمؤلف

العمل الاول :**تدوين العلوم الإسلامية** بعد أن كانت تعتمد على الرواية، فظهر فى هذا العصر:

- **فى مجال الفقه** ظهر أئمة المذاهب الأربعة أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل.
- **وفى مجال التفسير** ظهر الفرّاء أول من كتب تفسيرا كاملا للقرآن الكريم.
- **وفى مجال علوم اللغة العربية** ظهر الخليل والأخفش والكسائى وسيبويه.
- وفى التاريخ الإسلامى ظهر ابن هشام .
- **وفى الحضارة الإسلامية** ظهر كتاب «الخراج» لأبى يوسف.
- **وفى علم مقارنة الأديان** ظهر النوبختى.

والعمل الثانى : إنشاء بيت الحكمة الذى جُلِبَتْ له الكتب الأجنبية فى العلوم التجريبية كالطب والرياضة... تلك الكتب التى كانت فى الدهاليز، وعكف عليها العلماء كلٌّ فى الفرع الذى يجيده لاستكمال الكتب وترجمتها والتعليق عليها ثم تدريسها، وهذا الجهد مهَّد للتأليف فى موضوعاتهافى القرون التالية، فكانت الكتب التى ألَّفها المسلمون أعلى مستوى من الكتب التى ترجموها.

إبداعات المسلمين وابتكاراتهم :

حقق المسلمون صورا عظيمة من الإبداع نرصد فيما يلى لمحات منها :

فى الجغرافيا : أجادوا رسم الخرائط وتلوينها وتجسيمها، وظهر الأصطخرى والبيرونى والإدريسى ثم ياقوت.

فى الفلك : ظهر الكوهى الذى حقّق نقطة الانقلاب الشمسى ،وحددفصول العام .

فى الكيمياء : ظهرجابر بن حيان الذى أجرى التجارب وحدد نتائج تجاربه .

العلوم الطبيعية : وفيها ظهر ابن الهيثم الذى ابتكر نظام «النظارات» والذى قرر أن الرؤية تحدث من شعاع ينبعث من الشئ المرئىّ فيقع فى العين فتحدث الرؤية وليس من شعاع ينبعث من العين كما كان السابقون يعتقدون.

فى مجال الطب : فى هذا المجال حقّق المسلمون إنجازات عظيمة جدا .فظهرت المستشفيات الإسلامية، وكان العلاج بالمجان، وظهر الأطباء الفلاسفة والفلاسفة الأطباء وعَرَف المسلمون أمراض الجدرى والسكر والحصبة وعرفوا العدوى وطريقة الحماية منها، فعرفوا التطعيم، كما عرفوا التشريح والتخدير، وعرفوا الطب النفسى وعلاجه، ومن أبرز الأطباء المسلمين الذين

ملأت شهرتهم الآفاق الرازى وابن سينا وابن رشد والزهراوى وعلى البغدادى وعمار الموصلى وابن زهر، وعرف المسلمون الطب البيطرى، وفى الحيوان عرف العرب التهجين وتحسين النسل، ويعتبر كتاب الجاحظ «الحيوان» من أروع ما كُتب فى هذا المجال.

أوربا تقتبس مرة أخرى

إن الحضارة العربية كانت متفوقة أو قل متفرّدة فى عصور ما قبل الميلاد وإن هذا المجد الثقافى دام حوالى ألفى عام، وقد اقتبس اليونانيون بعض هذه الحضارة عندما وفدوا إلى الإسكندرية وتعلموا فى معاهدها وكان هذا هو الاقتباس الأول، وبعد النهضة الإسلامية التى ازدهرت بها العلوم الإسلامية الأصيلة والعلوم التجريبية اتجهت أوربا مرة أخرى للاقتباس من العالم الإسلامى، وكانت طريقة اقتباس الحضارة التجريبية مختلفة عن طريقة اقتباس الحضارة الأصيلة كالآتى.

اقتباس العلوم التجريبية :

عُنِيَتْ أوربا باقتباس العلوم التجريبية لينعم

الملوك بخدمات طبيّة لهم ولأسرهم وليرتفع العمران، وتعزف الموسيقى فتحقق المتع لديهم، ومن هنااقتبسوا العلوم التجريبية من الأندلس وصقلية وكان ذلك عن طريقين:

١- الترجمة من اللغة العربية للغة اللاتينية

وقد وفد للأندلس عدد من هؤلاء المترجمين ليقوموا بترجمة الأعمال المهمة المتصلة بعلوم الطب والفلك والرياضة والموسيقى والكيمياء....وقد حفظ التاريخ لنا بعض أسماء هؤلاء المترجمين الذين عكفوا على الكتب العربية لينقلوا خلاصتها إلى لغاتهم الأوربية وهم:

الثانى Adlard of Bath-John of Seville-Plato of Trivoli-
Silvestre,Franco of Copogne-Gerald of cremone-Alfonso X

وقد تَرْجم هؤلاء مجموعةً كبيرة من الكتب العربية أوردها Professor-Sharif فى كتابة

Muslin Thought, its origin and Achievmements

وقد ترجمتُه للغه العربية بعنوان:

الفكر الإسلامى: منابعه وآثاره..

٢- الطريق الثانى لانتقال الحضارة التجريبية لأوربا

كان بواسطة البعثات التى أرسلها الملوك لجامعات المسلمين ومعاهدهم فى الأندلس وصقلية ليتعلموا بها، ومن أهم البعثات التى وفدت تلك البعثه التى أرسلها ملك إنجلترا جورج الخامس إلى أسبانيا وهى مكونة من فتيات من الأسرة المالكة وترأسها ابنة أخت الملك، ومع البعثة خطاب من الملك إلى الخليفة هشام الثالث يرجو أن توضع البعثة تحت رعاية الخليفة، وقد ردَّ عليه الخليفة برسالة يطمئنه على أفراد البعثة ويذكر له أن بيت مال المسلمين سيتولى الإنفاق على أعضائها. وقد أثبتُّ نصوص هذين الخطابين فى كتابى «العلاقات الدولية فى الفكر الإسلامى(١)

اقتباس الحضارة الإسلامية الأصيلة :

أما الحضارة الإسلامية الأصلية المرتبطة بالشورى وتحرير العبيد وحقوق المرأة والعلاقات الدولية وأمثالها فقد اقتبسها الأوربيون من المسلمين بمصر وفلسطين خلال الاحتكاك بهم فى الحروب الصليبية وبخاصة فى فترات الهدنة، فالجنود الأوربيون كانوا

---

(١) العلاقات الدولية فى الفكر الاسلامى ص٨٥ – ٨٦

من الرقيق ولما وجدوا الجيش الإسلامي من الأحرار ثاروا على سادتهم وحصلوا على الحرية، ولاحظ الغربيون أن صلاح الدين الأيوبي له مجلس شورى فألزموا ملوكهم بتكوين مجلس مماثل، وحصلت المرأة الغربية على بعض حقوقها لتماثل المرأة المسلمة أو تقرب منها وهكذا.

أثر العلوم والحضارة الإسلامية على الحضارة العالمية:

كان تأثير الحضارة الإسلامية على الحضارة العالمية واسعا ومتنوع الجوانب، فشمل العقيدة والأخلاق والسلوك وشمل الصناعة والعلوم كما سنرى في كلامهم بعد قليل.

تأثير الاسلام في المسيحية

أثرت العقيدة الإسلامية على العقيدة المسيحية تأثيرا واضحا، وقد كان تأثير الإسلام على عقيدة المسيحين واسعا، فمنذ عهد بولس اتجه المسيحيون إلى القول بالتثليث، فلما جاء الإسلام وقال بالوحدانية المطلقة ودلّل على هذه الوحدانية بأدلة حاسمة عقلية

ونقلية لجأ المسيحيون إلى تحوير عقيدتهم بما يقرب من الإسلام، فقالوا بوحدة فى تثليث أو تثليث فى وحدة، أى أن الله واحد له ثلاث جوانب أو أقانيم، وكان هذا تأثيرا كبيرا للإسلام فى العقيدة المسيحية بل ظهر مايكل سرفتوس سالف الذكر الذى أعلن عقيدة التوحيد المناهضة لعقيدة التثليث، وقد اتجه للتوحيد لأنه أسبانى المولد والنشأة فتأثر بالمسلمين هناك.

ووجدت من بين النصارى طائفة أنكرت ألوهية المسيح عليه السلام.، وفى مصر طائفة كبيرة من المسيحيين المثقفين تستنكر ألوهية المسيح وترفض القول بالتثليث.

وفى القرنين الثانى والثالث الهجريين ظهرت فى جنوب فرنسا حركه تدعو الى إنكار الاعتراف أمام القسس، وأن يتجه المسيحى الى الله وحده يرجو منه غفران ذنوبه، ويرى الاستاذ أحمد أمين[1] أن ذلك كان تأثرا بالإسلام، إذ ليس فى الإسلام قسيسون ورهبان ،ثم إن جنوب فرنسا كان على صلة بالإسلام الذى امتد من أسبانيا إلى جنوب فرنسا فى فترة من الفترات.

---

(١) ضحى الإسلام حـ ص ٣٦٤

وفى نفس الوقت تقريبا ظهر مذهب نصرانى يرفض تقديس الصور والتماثيل، فقد أصدر الامبراطور الرومانى ((ليو الثالث)) أمرا سنة ٧٢٦م يحرِّم فيه تقديس الصور والتماثيل وأمرا آخر سنة ٧٣٠م يُعَدُّ ذلك وثنية(١)، ووصل هذا الأمر غايته على يد كلوديوس أسقف تورين سنة ٨٢٨م، فقد أحرق الصور والصلبان ونهى عن عبادتها فى أسقفيته، ويربط بعض الباحثين ذلك بنشأة كلوديوس، إذ كان قد ولد وتربى فى الأندلس الإسلامية. وتأثر باتجاه بعض علماء المسلمين الذين لا يبيحون الرسم والتصوير والنحت(٢).

وقد حملت البروتستانتية بعض آثار الإسلام، فالأفكار التحررية التى تبيح للمسيحى أن يفكر ويفهم الكتاب المقدس بنفسه، وتَعُدُّه مسئولا أمام الله وليس أمام الكنيسة...كل ذلك كان تأثرا بالإسلام من قريب أو بعيد(٣) .

تأثيرالإسلام فى الديانة الهندوكية :

فى الهندوكيةآلهة لا يحصى عددها، وعندما اختلط

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة

(٢) ابو الحسن الندى: الإسلام: أثرى فى الحضارة وفضلة على الإنسانية ص ٢٥

(٣) المرجع السابقص ٢٧

الهنود بالمسلمين، ظهر تأثير الإسلام فى الهندوكية، فبدأ الهنود يتكلمون عن رب الأرباب وإله الآلهة، وفى هذا التعبير إهمال للكثرة وارتباط بإله واحد أحد.

ويقول الباحث الهندى panikkar(١): إن تأثير الإسلام فى الديانة الهندوكية كان عميقا، وإن قادة الفكر من الهنود الذين ظهروا فى العصر الإسلامى قد صرحوا بأن الإله واحد، ودعوا لعبادته دون سواه.

اعترافات المفكرين الغربيين

فإذا جئنا إلى الحديث عن تأثير الحضارة الاسلامية فى المجالات الأخرى غير العقيدة فإننا نلجأ الى اعترافات المفكرين الغربيين:

يقول : Hearnshow :لقد خرج الصليبيون من ديارهم لقتال المسلمين فإذا بهم جلوس عند أقدامهم يأخذون عنهم أفانين العلم والمعرفة، ولقد بُهِتَ الأوربيون أشباهُ الهمج عندما رأوا حضارة المسلمين التى رجحت حضارتهم رجحانا لا تصح معه المقارنة بينهما(٢) .

(١) محمد عبد السلام مبورى: فلسفة الهند القديمة: مجلة الثقافة الهندية مارس سنه ١٩٥٣

(١) علم التاريخ ص ٦٢

ويقول:Gosiph Calmith (١): فى اللقاءات بين المسلمين و الأوربيين قدَّم المسلمون عنصر التأثير والإنتاج وتلقىً العالم المسيحى الأثر والفكر.

ويقول غوستاف لويون(٢) : أخذالغرب عن المسلمين أخلاق الفروسية واحترام المرأة وتحرير العبيد، وقد كانت استفادة الصليبين من علوم العرب أقل مما يجب لأن الجيوش الصليبية كانت جاهلة، ولم تكن تبالى بالمعارف، ومن أجل هذا كانت عنايتها أكثر فى ميدان العمران والصناعة أكثر منها فى ميدان الفكر والفن.

ويقول أناتول فرانس (٣) : إن أشأم يوم فى التاريخ هو يوم معركة بواتيه فى فرنسا حيث تقهقرت العلوم والفنون والحضارة الإسلامية أمام بربرية الفرنجة.

ويقول Kirk (٤) : إن للحروب الصليبية أهمية لا تقدر فى تاريخ الثقافة بأوربا بسبب ما كان لها من عظيم الأثر فى تفتيح أذهان الناس الى مستوى الحضارة فى الشرق الأوسط، ذلك المستوى الذى كان يفوق حضارة الغرب بكثير.

ويقول Emerton(٥) : إن الثقافة التى حصل عليها

(١) RESULTS OF CRUSADES

(٢) حضارة العرب ص ٣٣٨

(٣) نقلا عن تاريخ الأندلس للأستاذ العبادى ص ٦٩

(٤) ASHORT HISTARY OF THE MIDDLE EAST P.71

(٥) MIDIAEUAL EURAPE P.393.

الصليبيون من المسلمين انتزعت الصليبيين من الحياة البربرية ومن الجهل والوحشية، ودفعتهم قُدُما إلى عالم الحضارة وكان الأوربيون يسمعون من القسس كلاما خاطئا عن المسلمين، ولكن المسلمين ظهروا أمام الصليبيين على حقيقتهم فوجد الصليبيون فى المسلمين إنسانيه عالية وشرفا وشجاعة ووفاء بالعهد وغير ذلك من الصفات التى لم يكونوا يسمعون بها من قبل، وقد ساعدهم ذلك على تكوين الناحية الإنسانية فى الأوربيون، ولم تكن هذه الناحية من قبل ذات بال عندهم.

ويقول Richard Coke (١): إن أوربا لتدين بالشئ الكثير لأسبانيا العربية فلقد كانت قرطبة سراجا وهّاجا للعلم والمدنية فى فترة كانت عواصم أوربا خلالها لا تزال ترزح تحت وطأة القذارة والبدائية، وقد هيأ الحكم الإسلامى لأسبانيا مكانة جعلها الدولة الوحيدة فى أوربا التى أفلتت من عصور الظلام.

ويقول ليبرى: لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوربا عدة قرون(٢)

(1) T HE CITY OF PEACE P.147

(١) نقلا عن حضارة الاسلام للدكتور جلال مظهر ص ١١٧.

أما أرنولد توينبى[1] فيقرر أن العالم العربى كان فى العصور الوسطى يمثّل محطات إرسال أمكن عن طريقها التقاط بعض كنوز الفكر من عالم الشرق المتحضر إلى العالم المسيحى الغربى، وفى مقدمة ما نقله الغرب التسامح الدينى والاتجاهات الإنسانية التى أسَرَتْ قلوب الغربيين

النكسة التى أصيب بها المسلمون:

بقى أن نسأل عن سبب التخلف الذى يعيش فيه المسلمون الآن

والإجابة أن هذه النكسة وهذا التخلف نتيجة لسببين مهمين:

١- السبب الأول الصراع الطويل الذى عاناه المسلمون من التتار والصليبيين والاستعمار وكانت الحرب تدور فى بلادنا فأثرت فيها تأثيرا صعبا، وبعد هؤلاء جاءت الإمبراطورية العثمانية بمفاسدها ثم الصهيونية بآثامها.

٢- السبب الثانى أن المسلمين أثاروا خلافات فيما بينهم لأسباب ليست رئيسية فى الدين فكثرت الطوائف والمذاهب، وظهر أولئك الذين يتقوّلون على

(١) حضارة الاسلام: من الترجمة العربية للاستاذ محمد فؤاد شبل ص٤٦

الإسلام والذين يُفتون بما لا يعملون وتَرَك المسلمون شئون الدنيا وانغمسوا فى مناقشات لا تجدى حول قضايا ثانوية كالمهدى المنتظر والفروع الفقهية، أما الأوربيون فالتقطوا ما أخذوه من العالم الإسلامى وطوَّروه، وفصلوا الدين عن الدولة واتَّجهوا إلى تطوير شئون الدنيا، ولكنهم انحرفوا بالإنجازات - بعد أن استبعدوا الدين إلى التدمير فأصبحت حضارتهم مدمرة وأصبح شرها أكثر من خيرها فالأسرة قد انحلت، والأخلاق الفاضلة اختفت، والحروب قد كثرت وعَنُفت.

أمل فى المستقبل:

إن أمل البشرية يرتبط بنهضة إسلامية تُطوِّر العلوم والمعارف فى ظل الدين والأخلاق وذلك الأمل قرره Gourge Sarton: بقوله (١) :

سبق للعرب أن قادوا العالم فى مرحلتين طويلتين من مراحل التقدم الإنسانى استمرّت الأولى ألفى سنة على الأقل قبل اليونان، وعاشت الثانية طوال أربعة قرون تقريبا خلال العصور الوسطى، وليس ثمة ما يمنع هذه الشعوب من أن تقود العالم مرة أخرى فى المستقبل القريب أو البعيد.

(١) H ISTORY OF SEIENEES P,61

الإسلام والحضارة الغربية

أسئلة صحيفة الأهرام القراء عن هذا الموضوع

١- العلمانية فى تعريف دعاتها هى الحيلولة دون ممارسة المؤسسة الدينية ورجالِها-وليس الدين-لسلطات سياسية وإدارية، خاصة على التعليم العام، فهل هى بهذا المعنى متعارضة مع الإسلام؟ وهى البديل هو حكم رجال الدين؟ وما مكانة الأقليات الدينية فى هذا؟ وما مصير شعار الدين لله والوطن للجميع؟

٢- الإسلام يدعو للفكر وإعمال العقل، ومع ذلك يرفض بعضُ من يرفعون راية الإسلام الفلسفةَ الغربية التى تقوم أساسا على العقل، فهل هم محقُّون فى ذلك؟

٣- استطاعت المجتمعات الغربية عن طريق الضمير الأخلاقى أن ترسِّخ الكثير من القيم الحميدة مثل: الكدّ والاجتهاد، والأمانة، وحسن المعاملة، والنظافة، ومراعاة الصالح العام، وذلك على الرغم من ابتعادها

عن الدين، ولم نستطع نحن أن نفعل ذلك، رغم أننا ندين بالإسلام الذى يحضّ على هذه القيم، فلماذا ؟

٤- دخل استقبال القنوات التليفزيونية الغربية الكثير من البيوت، عن طريق الأطباق، فهل يجوز استقبالها بكل ما تنقله من أشياء قد تتعارض مع قيمنا وديننا.

٥- يضطر بعض المسلمين الذين يعيشون فى البلدان الغربية لقبول أوضاع قد لا تتفق مع مبادئ الإسلام، مثل الطلبة الذين يضطرون لتناول وجباتهم فى مطاعم الجامعات وهو مُعَدٌّ بمواد وطرق محرمة إسلاميا، فما هو الحكم بالنسبة لهم؟

٦- مصادر الثقافة الحديثة معظمها غربية وهى ترسى قِيما ليست من الإسلام، فهل نمنعها ؟

٧- ما هو الرأى فى محاولات البعض تفسير آيات القرآن بوصفها إثباتا لنظريات علمية حديثة، قد يثبت خطؤها مستقبلا؟

س١- العلمانية فى تعريف دعاتها هى الحيلولة دون ممارسة المؤسسة الدينية ورجالها -وليس الدين- لسلطات سياسية وإدارية، خاصة على التعليم العام، فهل هى بهذا المعنى متعارضة مع الإسلام؟ وهل البديل هو حكم رجال الدين؟ وما مكانة الأقليات الدينية فى هذا؟ وما مصير شعار: الدين لله والوطن للجميع؟

ج- إن الإجابة عن هذا السؤال تتضح من عرض الحقائق التالية:

أولا : إن العلمانية بهذا المفهوم هى أيسر أنواع العلمانية، وإن العلمانية فى أكثر الأحوال تخطَّتْ هذا المفهوم ووقفت موقفاً عدائياً من الإسلام، فهى فى الغالب تهاجم الإسلام والمسلمين، وهذا الموقف يسئ للمسلمين ويثيرهم.

ثانيا : إن الذعر من المؤسسات الدينية الإسلامية تسبب عن اعتقاد خاطئ، هو الربط بين المؤسسات الدينية فى الإسلام والنظام الثيوقراطى الكاثوليكى الذى كان رجال الدين فيه يدّعون الصلة بالله سبحانه وتعالى، وبالتالى يتلقوْن الوحى منه، وأنهم يمثّلون

الله فى الأرض، وكان من حق البابا أن يشرّع وليس لأحد أن يناقشه، وهذا الوضع بعيد كل البعد عن المؤسسات الدينية فى الإسلام، وقد تصدّى مستشرق غربى شهير لإبراز الفروق بين الجماعتين هو Thomas Arnold(١) وهو فى ذلك يقول: إن البابا مميَّزٌ بسلطاته الروحية، ووظائفه الدينية، وهو يقود أرواح الناس، وهو ليس شخصاً مسيحياً عادياً بل إن له سلطةً دينية خاصة ويدّعى أنه يُوحى إليه ولذلك فهو يستطيع بها أن يشرّع، وأن يغفر السيئات، أما الخليفة المسلم فلا يوحى إليه، ولا يشرّع، وليس إلا منفّذا لأحكام الدين، وإن سلطة تفسير الآيات القرآنية والأحاديث متروكة للعلماء، وإن الإمامة فى الصلاة-التى تعوّد الخليفة أن يتولاها-كان من الممكن أن يقوم بها أقل فرد من المسلمين.

وتكلم الإمام محمد عبده عن هذا الوضع فقال:

والبابا عند المسيحيين له سلطان إلهى، فهو ينفرد بتلقى الشريعة عن الله، وله حق الأثرة بالتشريع، وله فى رقاب الناس حق الطاعة، لا بالبيعة وما تقتضيه من العدل وحماية الحوزة، بل بمقتضى الإيمان، فليس للمسيحى ما دام مسيحياً أن يخالفه.

---

(١) The Calipate p.14

أما تلقى الشريعة فى الإسلام فعن القرآن والحديث بدون توسيط أحد من سلف أو خلف ما دام المسلم قد حصل على الوسائل الثقافية التى تؤهله للفهم، فإن لم يكن قد حصل على هذه الوسائل، فما عليه إلا أن يسأل العارفين بها من المسلمين، وله أن يطالب المسئول بالدليل(١).

ونضيف إلى ذلك فروقاً أخرى قررها العلماء بين البابا وبين خليفة المسلمين وهى أن لأهل الحل والعقد فى الإسلام الحق فى عزل الخليفة، ولا يملك أحد عزل البابا، والبابا بيده النقض والإبرام والغفران والحرمان، والخليفة ليس بيده شئ من ذلك، ولا يخصه الدين فى فهم القرآن والعلم بالأحكام بمزية، بل هو وسائر طلاب الفهم سواء، إنما يتفاضلون بصفاء العقل وكثرة الإصابة فى الحكم .

والحكومة الإسلامية تستمدُ سلطانها من الشعب لا من الله، وتتولى الحكم بإرادة الشعب، ثم-وهذه نقطة هامة-إذا كانت الحكومة الإسلامية تتبع القوانين التى شرعها الله فليس ذلك لصلة الحكومة بالله، وليس ذلك نوعاً من الكهانة،فالمكلف بقوانين الله هم المسلمون جميعاً، والشرع الذى شرعه الله للمسلمين

(١) محمد عبده: الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ص ٦٧

يجب على كل مسلم أن يطبقه من تلقاء نفسه، وأن يهتدى به، وقد اختارت جماعة المسلمين هذه الحكومة لتشرف على تعليم الناس هذا الشرع، ولتشرف كذلك على تطبيقه وتحاسب على إهماله.

ثم إن الشرع الإسلامى ليس قيوداً للمسلمين وسلباًلحرياتهم ، ولكنه تنظيم لحياتهم ودعم لحرياتهم، وسياسةُ التشريع الإسلامى تَرْمى إلى إسعاد المسلمين وإعطاء كل ذى حق حقه، وهى تضع الإطار العام، وتترك للمسلمين أن يجتهدوا وأن يفكروا ويدبّروا أمورهم فى حدود ذلك الإطار العام، وتلك هى الروحُ الإسلامية السامية فقد كان العالم ولايزال الكثيرون منه يشكون من نظام الميراث، وجاء الإسلام بنظام مثالى ضَمِن لكلٍّ حقه، وتقدمت الفلسفات، وتطورت النظم ولكن نظام الميراث الإسلامى ظل يجذب الناس إليه حتى من غير المسلمين وقد اقتبسه الأقباطُ بمصر بمحض رغبتهم، ومع أن هذا النظام دقيق مفصل فإنه لم يحرم العلماء قديماً وحديثاً أن يفكروا ويفسروا القرآن الكريم والأحاديث تفاسير تنقل نظام القسْم فى الميراث من مفهوم إلى مفهوم، ومن الأمثلة القديمة لذلك أن زيد بن ثابت كان يعطى الأم ثلث الباقى بعد نصيب الزوج أو الزوجة إذا اجتمع الأب والأم وأحد

الزوجين، مع أن الآية تقول:(ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد، فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث) (سورة النساء ١١).

أى أن القرآن يعطى الأم الثلث فى هذه الحالة، ولكن زيد بن ثابت اجتهد فقرر لها ثلث الباقى. لأنه رأى أن نصيب الأم – لو أخذت الثلث – سيكون ضعف نصيب الأب وذلك يخالف النظام الإسلامى العام الذى يجعل للذكر مثل حظ الأنثيين إذا تساوى الرجل والمرأة في درجة القرابة من الميت وجِهتها، ولما سأل عبد الله ابن عباس زيد بن ثابت: هل فى القرآن ثلث الباقى؟ أجاب زيد: أنا أقول برأيى وأنت تقول برأيك، وأخذ أغلب الأئمة فيما بعد برأى زيد ثابت (١).

ومن الأمثلة الحديثة مسألة الأحفاد الذين مات أبوهم قبل جدهم ولهم أعمام يحجبونهم من الميراث، فقد كان هؤلاء محجوبين بناء على المذاهب الأربعة، ثم كثرت الشكوى من حرمان هؤلاء الأحفاد مع تساويهم فى الدرجة مع أبناء أعمامهم الذين سيئول لهم الميراث، وبذلك تكونت لجنة من العلماء فى مصر،

(١) أعتقد أن زيد بن ثابت لاحظ قوله تعالى «وورثه ابواه» أى عندما لا يكون هناك وار ث غير الأبوين فهنا يكون للأم ثلث التركة وللأب الباقى تعصبا

ودرست الموضوع، واطّلعت على مذاهب إسلامية كثيرة واجتهدت للتوفيق بين النصوص وبين الصالح العام، وانتهت إلى إعطاء هؤلاء الأحفاد نصيب أبيهم أو ثلث التركة (الأقل من الاثنين) متبعةً في ذلك نظام الوصية الواجبة.

وإذا حدث ذلك فى الميراث، فما أسهل أن يحدث مثله فى صور التشريع الأخرى، لأن الميراث أكثر ألوان التشريع الإسلامى تحديداً وتفصيلا.

وهناك مثال آخر يدل على مدى سلطة الحكومة الإسلامية فى الأحكام والاجتهاد، فقد روى أن رجلا فى عهد عمر كانت له قضية فجاء يعرضها على الخليفة فأرسله الخليفة إلى «على» الذى كان يتولى شئون القضاء، فذهب الرجل إلى علىٍّ وعنده زيد بن ثابت وعرض قضيته، فتشاور على وزيد وأصدرا فى القضية حكما، ورأى عمر الرجل بعد ذلك وسأله: ماذا صنعت؟ قال: قضى على وزيد بكذا، فقال عمر: لو كنت أنا لقضيت بكذا. فقال: الرجل-وقد وافقه رأى عمر-: فما يمنعك والأمر لك؟ فأجاب عمر: إنى أردّك إلى رأيى وكيف لى أن أعرف أن رأيى أحسن من رأيهما؟

الوليد ويعمّدونه أو يربطون عقدة الزواج، أو يحضرون الوفاة ليضمنوا النجاة للإنسان بأدعية معينة أو بصكوك غفران كما كانت الحال فى العصور الوسطى لدى الكاثوليك.، ولغير المسلم أن يدخل الإسلام، وليس عليه إلا أن ينطق بالشهادتين، وإذا تزوج المسلم فإن ذلك يكون بإيجاب وقبول مع شاهدين حتى يوجد نوع من الإعلان وإشهار هذه العلاقة الجديدة، أما ما يسمى «المأذون» وهو موظف مدنى فليس إلا للرسميات فى حالة الخلاف أو الالتزامات، وقد عاش أجدادنا مئات السنين بدون هذا «المأذون» ويموت المسلم فيرتبط مستقبله بما قدّم من أعمال، ولا يبقى له إلا ما حدّدة الحديث الشريف الذى يقول: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له (البحارى باب الجنائز).

وفى الإسلام علماء فى شئون الشريعة تخصصوا فى ذلك كما يتخصص إنسان فى الطب أو الهندسة، ولا يمنحه تخصُّصُه فى الشريعة أن يصبح من رجال الكهنوت إذ من الثابت ألا كهانة فى الإسلام

رابعا: إذ كانت مصر من أكثر الدول الإسلامية ارتباطاً بالإسلام وعنايه بدراسته، وتصدر عنها أهم الكتب والبحوث الإسلامية فإننا نتساءل: أين المؤسسة الدينية التى تتطلع للحكم فيها؟

هل هى الأزهر الشريف؟ إن الأزهر لا يطمع فى ذلك ولا نطمع نحن فى أن يصبح رجال الأزهر حكاماً، لشئ واضح هو أن الحكم والإدارة علم أو علمان مهمًّان، وللأسف خلت مناهج الأزهر من دراسة العلوم المختلفة التى تؤهل المتخرج من الأزهر لتَولِّى السلطة والإدارة، وطبيعى أنه لا يتولى أمورَ الناس إلا من يعرف شئون السياسة والاقتصاد والزراعة والصناعة والحرب وغيرها، ولا يمكن أن يتولى أمورَ الدولة من يجهل هذه الأمور.

فإذا وجد من بين علماء الدين من درس شئون الحكم والتزامات الدولة فى المجالات المختلفة من سياسة واقتصاد ونظم اجتماعية وعسكرية وزراعية وصناعية....فليس هناك أبداً ما يمنع أن يتولى هؤلاء ما يجيدونه من سلطات سياسية وإدارية، ومن الظلم أن نحرمهم من ذلك، وقد عايشت فى إندونيسيا حزباً سياسياً إسلامياً هو حزب «ماشومى=مجلس شورى

مسلمى إندونيسيا » وهو حزب يُعْنَى عناية كبيرة بالفكر الإسلامى، وزعيمُه يدعى« محمد ناصر » وهو رجل واسع الثقافة فى الفقة الإسلامى وفى أمور الدين بوجه عام، وبالإضافة لذلك يجيد الشئون المتنوعة للدولة، وكان من أعضاء الحزب عدد كبير يجيد أمور السياسة والإدارة وحاجات الدولة المختلفة من زراعة وصناعة وعلاقات خارجية ولغات أجنبية، كما كان من أعضائه عدد من الجنرالات المشهود لهم بالكفاءة العسكرية العالية، وقد تولى هذا الحزب الحكم فحقَّق للبلاد كل رفاهية وتقدم، وكان العائق الوحيد أمامه هو الرئيس سوكارنو الذى كانت له ميول يسارية، فحدث صدام بين القوتين قضى عليهما جميعاً.

وعرفت فى أندونيسيا كذلك حزباً آخر سياسياً إسلامياً هو حزب « نهضة العلماء » وقد اشترك بنجاح فى حمل أعباء السياسة والحكم عدة سنوات.

وقبل هؤلاء وأولئك حكم عمر بن الخطاب عالماً فسيحاً باسم الإسلام، وينبغى أن نتعرف على عهده وعهد نظرائه، وسنرى أنه نموذج يجب أن يَقتدِى به الحكام الآن وبعد الآن وإلى يوم الدين.

وبهذه المناسبة أذكر أن جامعة كوست كليفورنيا

بالولايات المتحدة هالها أن يستطيع عمر بن الخطاب أن يحكم هذا العالم الفسيح من بلاد فارس مروراً بالعراق والجزيرة العربية والشام وفلسطين ومصر إلى الشمال الإفريقى، بكفاءة ممتازة وعدالة شاملة فى عهد الجمل والحصان، فاقترحتْ أن أشرف على رسالة للدكتوراه لتوضيح هذا الأمر، وعيَّنتْ طالباً عربى الدم يجيد الإنجليزية والعربية اسمه فاروق مجدلاوى، وقبلتُ الإشراف، وأخرجنا رسالة نادرة كان أهم أبوابها باباً بعنوان «عين عمر» حيث أثبتّنا أن كل والٍ بهذه المنطقة الفسيحة، وكل قائد، وعامل ،كان يحس أن عين عمر تراه، واتخذ عمر كل الوسائل لتعميق هذه الفكرة فى نفوس رجاله فواصل إرسال المراقبين والعيون، وسارت الأمور على أحسن ما تكون مما سجله التاريخ، وقد نالت هذه الرسالة أعظم تقدير من أساتذة هذه الجامعة، وكان الحاكم مسلماً كما كان المحكومون ينتمون لأديان مختلفة.

واستقلت الباكستان عن الهند باسم الإسلام وتولى شئونَها ردحاً من الزمن جماعات لها عمق فى الدراسات الإسلامية بالإضافة إلى القدرات السياسية والإدارية فخطوا بالبلاد خطوات طيبة إلى الأمام، واستطاعوا أن يصلوا بالبلاد إلى امتلاك القنبلة

الذرية، وإلى أن يضعوا بلادهم فى صفوف البلاد المتطورة على الرغم مما تعانى من عداء الهند وتهديدها.

فإذا حالت العلمانية المذكورة دون ممارسة هيئة كهذه لشئون السياسة والإدارة، فإن ذلك مرفوض ويعتبر بعيداً عن العدل، وعن تكافؤ الفرص، لأنه إبعاد لشخص مؤهل، أو لجماعة مؤهلة ولها كفاءة واضحة: إبعادها عن حق متاح للآخرين، وهذا وضعٌ ظالم نرفضه كأن معرفة الإسلام والتعمق فيه يحرم صاحبه مما يتاح للآخرين.

خامساً: وعندما نعارض العلمانية فى موقفها الذى شرحناه فإننا لا نقدم رجال الدين لتولى الحكم بسبب أنهم رجال دين، فالحكم فى تقديرى يكون لمن درس أنظمته وأجاده مع باقى الشروط التى تلزم لمن يتحمل هذه المسئولية كما ذكرنا،فغاية ما نريده ألا نحرم شخصاً من تولى السياسة والإدارة لمعرفته بالفكر الإسلامى، ونحن لا نحب أن نستعمل اصطلاح «رجال الدين» فهذا الاصطلاح ليس موجوداً فى الإسلام مناظراً لرجال الدين (الرهبان-أو الأحبار) فى المسيحية أو اليهودية.

سادساً : ونعود للسؤال الذى يَخْشى على التعليم العام من رجال الدين، فأقول إننى أعتقد أن التعليم العام.سيلاقى قمة الازدهار إذا تولاه شخص يعرف-مع قدراته فى السياسة والإدارة-التزامات الإسلام وأخلاق الإسلام ونتساءل: ما النتيجة التى نراها الآن فى التعليم العام وقد تُرِكتْ وزارة التعليم عشرات السنين بعيدة عن الكفاءات الإسلامية؟

إن المشاهَد هو أن التعليم والثقافة قد تدهورتا تماماً، ويَفِدُ لنا بالجامعة طلاب حاصلون طبعاً على الثانوية العامة وهم أشبه بالأميين، ولولا الدروس الخصوصية البعيدة عن جهد الوزارة لكان الطلاب أميين فعلاً، وليس فقرهم فقط فى الثقافة بل فى الأخلاق والسلوك، فأين العلم والخبرة التى ظهرت نتائجها فى مجال التعليم العام بإبعاد الكفاءات الإسلامية؟

وقد وضع الإسلام قيماً وأخلاقاً قد نعرض لها فى الإجابة عن الأسئلة الأخرى، ولو استطاع مسئول يعرف الإسلام وقيمه ومبادئه أن يغرس هذه الأخلاق فى نفوس النشء، فإن جيلاً جديداً سينشأ بمصر يرتفع بالبلاد عما تعانيه الآن من تدهور بسبب ما يشاع ومالا

يشاع من أنانية وإهمال وفساد يعوق دون التقدم الذى يمكن أن تحققه البلاد.

ومن صلتى الوثيقة بمدارس التعليم العام أقرر أن بعض الآباء الأقباط يحثون أبناءهم بالمدارس على حفظ آيات القرآن الكريم المقررة على المسلمين، ففيها جوانب خلقية تَلْزَم لكل إنسان، وهى تعين على إجادة اللغة العربية، ويقال أن مكرم عبيد باشا كان يحفظ قدراً كبيراً من القرآن المريم فلن تكون الدراسات الإسلامية عائقا دون تقدم التعليم العام، بل ستكون حافزاً للرقى فى الأمور العلمية وفى السلوك والأخلاق.

سابعاً : ونجئ الآن إلى نقطه أثارها السؤال وهى مكانة الأقليات غير المسلمة فى دولة يحكمها علماء الإسلام، وتلك فى تقديرى نقطة عجيبة كأن الأقليات غير المسلمة شئ حديث فى العالم الإسلامى، ونوضح حقيقة يجب أن نتذكرها وهى أن الإسلام طارئ على هذه المنطقة الفسيحة، وكان المسلمون خلال فترة ليست بالقصيرة أقلية بالنسبة للمصريين أو الفرس، وشملت العدالة الجميع وبمرور الزمن أصبح المسلمون أكثرية، ولكن ذلك لم يغير من ميزان العدالة السائد، وأرجو أن أوضح أن المصادر الإسلامية المقدسة تُلزِم المسلمين بحقوق واسعة لغير المسلمين، وفى قمة هذه

المصادر القرآن الكريم الذى يقول: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) (الممتحنة ٨) ويقول :(وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) (المائدة الآية الخامسة) ويقول لمن يدخل الإسلام ويظل أبواه على غير الإسلام (وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفاً) (لقمان ١٥).

ويوضح القرآن الكريم للمسلمين أدب الجدال مع غير المسلمين فيقول: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) (العنكبوت٤٦).

ويروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله:«من آذى ذمياً كنت خصيمه يوم القيامة» (ابوداود: الخراج)وتيسيراً على الجماعات من غير أهل الكتاب كالفرس عبدة النيران روى عن الرسول قوله: «سُنُّوا بهم سنة أهل الكتاب (الوطأ: باب الزكاة)

وقد روى عن الإمام على كرم الله وجهه: إن هؤلاء وأمثالهم كانوا أهل كتاب ثم أهملوا كتابهم ولهذا يعاملون معاملة أهل الكتاب باعتبار الأصل.

وتلقى الرسول صلى الله عليه وسلم نصارى نجران بالترحاب وفرش لهم عباءته، وأحسن إلى« سَفَّانة بنت حاتم الطائى» وإلى أخيها «عدى» وكانا قد دخلا المسيحية.

وكان الرسول يحضر ولائم أهل الكتاب ويعود مرضاهم ويزورهم ويكرمهم ويشيع جنازاتهم.(١)

وسار السلف الصالح على هذا النمط، وفى هذا النطاق نشير إلى« العُهدة العمرية» التى كتبها عمر بن الخطاب للمسيحيين فى بيت المقدس وفيما يلى فقرات منها نريد التعليق عل بعضها :

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء، من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم، وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم، سقيمها وبريئها، وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها، ولا من خيرها، ولا

---

(١) اقرأ بابا عن «غير المسلمين فى المجتمع الاسلامى» بكتاب الإسلام جـ٣ في سلسلة مقارنة الأديان للمؤلف

من صليبهم ولا من شئ من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.(١)

وتعليقنا على هذه الفقرة من العهدة العمرية ينصبُ على نقطتين مهمتين:

النقطة الأولى : ما ورد بها من قوله:«سقيمها وبريئها» فقد كان هناك رأى بأن من يقول بألوهية السيد المسيح يعتبر خارجاً عن نطاق أهل الكتاب ومشركاً مع الله إلهاً غيره، ولكن العهدة العمرية اعترفت بحقوق أهل الكتاب من اتجه هذا الاتجاه أو ذاك.

النقطة الثانية : كان هناك صراع دامٍ فى فترة طويلة من فترات التاريخ بين بعض الطوائف المسيحية والبعض الآخر، وجاءت العهدة العمرية تقرر الحقوق للجميع فى قوله«وسائر ملتها»

وعندما دخل الإسلام مصر أعطى عمرو بن العاص البطريرك بنيامين كتاب أمان وأعاده إلى كرسيه بعد أن أقصاه عنه الرومان حوالى ١٣سنة وترك له شئون

---

(١) الطبرى جـ ٤ص ١٥٩ – ١٦٠.

الكنيسة الدينية والإدارية كما يقول المؤرخ المسيحى حنا النقيوسى(١).

هذه هى حقوق الأقليات الدينية فى المجتمع الإسلامى وقد ورثناها جيلاً عن جيل، ماذا نرى لو قارنًا ذلك بحقوق المسلمين فى البلاد المسيحية، تلك البلاد التى افتتن بها بعض الناس؟ لو قارنا حالة غير المسلمين بالبلاد الإسلامية بحالة الأقليات الإسلامية فى يوغوسلافيا السابقة وفى الفلبين وفى إسرائيل لعرفنا سماحة الإسلام، ولخجل العلمانيون من نتائج هذه المقارنة.

وأقرر كباحث فى الدراسات الإسلامية فى القرن العشرين التزام المسلمين بحقوق غير المسلمين، واعتبار أن الوطن للجميع لهم فيه ماللمسلمين من حقوق وعليهم ما على المواطنين من واجبات وإن اختلفت الديانات، وفى أوقات الأزمات التى عاصرتُها بين المسلمين والأقباط لم يهدأ قلمى ولا لسانى ولا يدى، وكنت ومعى الكثيرون نبرز هذه الحقائق ونحافظ على الأقباط بكل ما وسعنا من قوة.

(١) تاريخ حنا النقيوسى ص ٦١ وصبح الأعشى للقلقشندى حـ ١٣ ص ٣٢٤

وأنا أعيش فى المعادى وفى بيتنا بالمعادى تسكن بعض الأسر القبطية، وأسجل أن بيننا وبينهم وداً وعلاقات طيبة معروفة،

وما يمكن أن يحدث فى الصعيد من خلافات ليس إلا نتيجة لجذور قديمة من الثأر يحدث مثله بين المسلمين بعضهم والبعض وبين الأقباط بعضهم والبعض كذلك، وإذا رأيت عدواناً من مسلم على قبطى أو من قبطى على مسلم فتأكَّدْ أن ذلك راجع إلى ضعف الثقافة الدينية المستنيرة لهذا وذاك، ولو قُدِّمت هذه الثقافة لهما فإن شعور العداء والتعصب الدينى سيختفيان إلى الأبد.

المؤسسات المختلفة والحكم

وكما نمنع المؤسسة الدينية من الحكم لو جَهِلت شئون السياسة والإدارة، فإننا نمنع كذلك أية مؤسسة أخرى من الحكم لهذا السبب، وقد اغتصبت المؤسسة العسكرية الحكم فى بلادنا ردَحا من الزمن، فأفسدت الاقتصاد والإسكان والتعليم والزراعة، ودمَّرت البلاد والعباد، ثم زجَّت بالجيش فى حروب خاسرة ١٩٥٦ وفى اليمن(١٩٦٢- ١٩٦٧)وفى سنة ١٩٦٧ فسقط الآلاف من الشهداء، وضاعت أسلحة بمئات الملايين من الدولارات، وكلّ ذلك لجهل هذه المؤسسة بالمسئولية العظمى التى

يجب أن تتوافر فى الحكام .

س٢- الإسلام يدعو للفكر وإعمال العقل، ومع ذلك يرفض بعض ممن يرفعون راية الإسلام الفلسفة الغربية التى تقوم أساسا على العقل، فهل هم محقون فى ذلك؟

ج- الإسلام يدعو للفكر وإعمال العقل، هذه حقيقة أثبتتها القرآن الكريم فى عدة آيات، ولو أجرينا إحصائية عن الآيات القرآنية التى تحثُّ على استعمال العقل وتهاجم من يهمل العقل والفكر لقدّمت هذه الإحصائية عددا كبيرا من الآيات القرآنية فى هذا المجال، ومثل هذا مجموعة من الآيات القرآنية الكريمة التى تحثُّ على إعمال الفكر والاستفادة من البحث والدرس فى هذا الكون، ونذكر فيما يلى بعضها:

- إن فى خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريفِ الرياح والسحابِ المسخَّر بين السماء والارض لآياتٍ لقوم يعقلون (البقرة١٦٤).

- أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن

تعمى القلوب التى فى الصدور (الحج٤٦).

- ولا تقف ما ليس له به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا(الإسراء٩٦).

- ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب(آل عمران ١٦٠).

- كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون (يونس٢٤).

- ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين(الروم٢).

- والذى خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين (الزخرف١٢-١٣).

- وقد وردت آيات كثيرة تعرض نعم الله وتوجيهاته وتختم بقوله تعالى أفلا تعقلون (البقرة٤٤ وآل عمران ٦٥ والأعراف١٦٨ وهود ٥١) أو تختم بقوله تعالى« أفلا تتذكرون (الأنعام ٨٠) وآيات أخرى كثيرة مجملة ومفصلة تحث الإنسان على استعمال الفكر

واعمال العقل، وقد عنى ابن رشد بإثبات أن الشريعة الإسلامية حثت على النظر العقلى وأوجبته، وقد أخذ ذلك من الآيات القرآنية التى أوردناها ومن غيرها من الآيات(١). وذلك بخلاف الكنيسة التى كانت تقف فى وجه الفصل والمعرفة كما حدث لجاليليور وسرفتوس

وإعمال العقل شئ اهتم به بعض الفلاسفة قبل الإسلام، وتروى دائرة معارف وجدى فى مادة (إله) حواراً دار بين سقراط وأريستوديم وهو حوار اعتمد على العقل وأدّى أحسن النتائج وهاك نصه:

سقراط : أيوجد رجال تُعْجَب بمهارتهم وجمال صنائعهم؟

أريستوديم : نعم، أعجب فى الشعر القصصى بهومير، وفى التصوير بزوكسيس، وفى صناعة التماثيل ببوليكتيت.

سقراط: أى الصناع أولى بالأعجاب؟ الذى يخلق صورا بلا عقل ولا حراك، أو الذى يبدع كائنات ذات عقل وحياة؟

---

(١) دكتور محمود قاسم : ابن رشد المفترى عليه ص ٨٦

أريستوديم: طبعا الذى يبدع الكائنات المتمتعة بالعقل والحياة إذا لم تكن تلك من نتائج الاتفاق.

سقراط: وهل يمكن أن يكون من الاتفاق أن تعُطَى الأعضاء لمقاصد وغايات خاصة؟ عين ترى، وأذن تسمع، وأنف يشم، ولسان يتذوق، والعين تحاط بحراسة لحساسيتها وضعفها، فتقفل عند النوم أو عند الحاجة، وتحرس بالعظام المحيطة بها وبالرموش والحواجب، ويجعل للأذن جهاز خارجى يجمع لها الصوت، هل يمكن أن يكون كل ذلك من نتائج الاتفاق والمصادفة؟.

والميل المودَع فى النفوس للتناسل، والحنان المخلوق فى قلوب الأمهات بالنسبة للأولاد، مع ندرة أن ينفع ولد أباه أو أمَّه، والطفل الذى يُلهَم الرضاعة بمجرد ولادته...هل يمكن أن يكون ذلك كله من نتائج الاتفاق؟

أريستوديم: لا، إن ذلك يدل على الإبداع، وعلى أن الخالق عظيم يحب الكائن الحى،ولكن لماذا لا نرى الخالق؟

سقراط: وأنت أيضا لا ترى روحك التى تتسلط

على أعضائك فهل معنى هذا أن تقول إنه لا روح لك لأنك لا تراها؟وانتهت هذه المحادثة بايمان أريستوديم(١).

ويقول الاستاذ مومنيه: إذا افترضنا بطريقة تعلو عن متناول العقل أن الكون خلق اتفاقا بلا فاعل مريد مختار، وأن الاتفاقات المتكررة توصلت الى تكوين الرجل، فهل يعقل أن الاتفاقات أو المصادفات تكوّن كائنا آخر مماثلا له تماما فى الشكل الظاهرى، ومباينا له فى التركيب الداخلى وهو المرأة بقصد عمارة الأرض بالناس وإدامة النسل فيها(٢)؟ .

ولكن الانسان فى استعمال العقل شطّ فى كثير من الأحيان لأن هناك أمورا لم يستطع العقل استيعابها ، فهناك جماعة وصلوا بعقولهم إلى عبادة الأشخاص والأصنام والأوثان بحجة واهية هى «نتبع ما ألفينا عليه آباءنا » وقد سَخِر منهم القرآن الكريم فقال « أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يتدبرون »(البقرة ١٧٠).

---

(١) محمد فريد وجدى: موسوعة القرن العشرين: مادة إله جـ١ ص ٤٨٦ وما بعدها

(١) المرجع السابق ص ٤٨٨

وتزوج بعض الناس من أمه أو أخته فانقطعت بذلك صلة الأرحام لحدوث خلافات طبيعية بين الزوج والزوجة.

وحدث كثير من الجَوْر فى نظام الميراث لأن عقولهم أوحت لهم بأن يكون الميراث للذكور فحرموا الإناث أو للكبار من الذكور الذين يستطيعون حمل السلاح والدفاع عن القبيلة فحرموا الذكور الصغار من الميراث، كما أشاعوا العضل(المنع من الزواج) وورثوا زوجة الأب فأصبحت زوجةُالأب ملكاً لابن المتوفَّى وشاع باسم العقل ما نراه الآن فى الغرب من الاتصال غير المشروع بين الشاب والشابة والحمل سفاحا حتى أثبتت الإحصائيات أن سدس المواليد سنة ١٩٦٧ فى نيويورك كانوا من علاقات غير شرعية(١) وبهذا وجد ملايين المواليد الذين لا يعرفون آباءهم ولا يستمتعون بجو الأسْرة.

وباسم العقل شاع الخمر والربا والميسر ولا يزال شائعا.

وقد تفضل الله سبحانه وتعالى فأنقذ البشرية،

(١) صحيفة الأخبار الصادرة فى ١٩٦٨/٧/٢

بأن شرع لهم مالم يستطع العقل الوصول إليه من تلقاء نفسه.

فجاءت النصوص القرآنية ونصوص الحديث الشريف توضح للمسلمين المعالِم التى يسيرون على ضوئها فيما تضاربت فيه العقول وشطَّت عن الصواب، فكثرت الآيات القرآنية التى تثبت وجود الله سبحانه وتعالى وتثبت وحدانيته قال تعالى«الله لا إله إلا هو الحى القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم.....»(البقرة ٢٥٥).

وقال: «أتعبدون ما تنحتون»(المائدة ٩٥).

وقال: «لوكان فيهما آلِهَةٌ إلا الله لفسدتا»(الأنبياء٣٢).

وجاءت النصوص تحدد الميراث وتقرر لكل ذى حق حقه، وختمت أيات المواريث بقوله تعالى «تلك حدود الله.....، ومن يعصِ الله ورسوله ويتعدَّ حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين»(النساء١٣-١٤).

وجاءت نصوص تنظم الزواج والطلاق والمحرمات من النساء وهى نصوص معروفة لا داعى لإيرادها هنا.

وجاءت نصوص تحرم الخمر والميسر والربا وهى

نصوص معروفة كذلك.

وجاءت أحاديث الرسول تشرح وتفصّل وتضيف أحيانا.

ومن الواضح فى الفكر الاسلامى أنه لا اجتهاد ولا إعمال للعقل فيما فيه نص، فقد أورد الله هذه النصوص عندما ضعف العقل وانحرف فى بعض القضايا، فجاءت كلمة الله غلاّبة، لا يجوز معها استعمال فكر ولا إعمال عقل.

ومن هنا يرفض المسلمون الفلسفة الغربية التى تتنافى مع النصوص الإسلامية، تلك الفلسفة التى تبحث فى الميتافيزيقا وما وراء الطبيعة، وتعرّض العقل الذى يعجز عن معرفة الأمور العادية فى كثير من الأحوال ليتكلم عن الله سبحانه وتعالى فى كثير من الحدْس الذى يضر ولا ينفع، وليست الفلسفة الغربية فى هذا المجال إلا شطحات لا تصل إلى نتيجة، ومن الواضح أن العقل العادى يعجِز عن معرفة كيف يفكر الإنسان، أو كيف يبصر أو يسمع مع أن طبيب العيون يعرف كيف يبصر الإنسان، وطبيب الأذن يعرف كيف يسمع الإنسان، فهذه الأشياء من شأنها أن يدركها

العقل، ولكنها خفيت إلا على المتخصصين، فما بالك بالأشياء التى سمت عن مدارك العقول والأفهام جميعا.؟

والمسلمون عندما يرفضون السير خلف العقول الغربية التى تشطح فيما يضعف العقل عن الوصول له، هؤلاء المسلمون يؤيدون ويشجعون أن نتابع الإنجازات الغربية المفيدة فى مجال الاختراع والإبداع فى عالم التكنولوجيا الذى حقق فيه الفكر الغربى كثيرا من التقدم، فالباب مفتوح للتعرف على الإبداع فى مجال صناعة السيارات والطائرات والذرة والإلكترونيات والطب وأنواع العلاج ،ففى ذلك فائدة لبنى الإنسان، وقد حقق المسلمون الأوائل كثيرا من التقدم فى مجال الطب والرياضة والفلك، وكانوا أساتذة الغرب عدة قرون كما يقول Gourge Sartonفليس مرفوضا أن نأخذ من الغرب كما أخذ منا الغرب، فالعلم لا حدود له، وهو كالهواء لا يعترف بحدود ولابفواصل إقليمية(١)

وإذا لم يفكر عقل المسلم فى هذا المجال فإنه يوصم بالكسل ويحاسب على هذا الإهمال.

(١) انظر اعترافات الغربيين بالاستفادة من علماء الاسلام وذلك فى البحث السابق وسننقل سطورا من هذه الاعترافات فى الإجابة عن السؤال الثالث فهى به أكثر ارتباطا.

س٣ : استطاعت المجتمعات الغربية عن طريق الضمير الأخلاقى أن ترسّخ الكثير من القِيَم الحميدة مثل: الكدّ والاجتهاد، والأمانة، وحسن المعاملة والنظافة ومراعاة الصالح العام، وذلك رغما من ابتعادها عن الدين، ولم نستطع نحن أن نفعل ذلك رغم أننا ندين بالإسلام الذى يحضّ على هذه القيم، فلماذا

ج: لا يستطيع منصف أن يقبل الزعم أن الجماعات الغربية رسّخت عن طريق الضمير الأخلاقى الكثير من القيم الحميدة،

فأين الأمانة فيما سلبوه وما يسلبونه من الثروات الخام بالعالم الثالث؟

وأين الأمانة وحسن المعاملة عندما سلّموا فلسطين لليهود بعد أن عينوا هربرت صموئيل الصهيونى مندوبا ساميا لانجلترا بفلسطين فخان بإيعاز من الغرب أمانة الانتداب وانحاز لليهود فى كل الشئون فكوّن منهم جيشا، وعمل على أن يمتلك اليهود الأرض، واتخذ الوسائل الظالمة ليبيع الكثيرون من الفلسطينيين أرضهم لليهود،

وأين مراعاة الصالح العام فى تدمير العراق بعد أن أخرجت من الكويت؟

وأين الأمانة فى ترك المسلمين للمذابح فى البوسنة والهرسك، والفلبين بينما يثورون وترتفع أصواتهم لو قُتِل يهودي واحد أو قبطى واحد بمصر.

وأين الضمير الاخلاقى وهم يحصدون السكان الأصليين حصدا فى الولايات المتحدة وكندا وأستراليا؟ وأين الضمير الأخلاقى وهم يصطادون السكان من أفريقية لرحلة عبودية قاسية فى البحار حتى أمريكا حيث يبيعون الأحرار فى سوق النخاسة.....

قد تبرز بعض الصفات الطيبة فى بلادهم، وفى معاملاتهم مع بعضهم البعض، ولكن عندما يتعاملون مع الشرق أو مع غير بنى جلدتهم فإن التمييز العنصرى والظلم وسوء المعاملة تكون أبرز صفاتهم.

بل ان دراسة نظام الإقطاع فى أوربا قبل الحروب الصليبية تبرز الوجه المعتِم للمجتمعات الغربية، وتثبت غيّبة الأخلاق الحميدة فى كل ربوع أوربا تقريبا.

على أننا نلفت النظر إلى نقطة مهمة فلم يكن الضمير الأخلاقى الغربى هو الذى ابتدع القيم الحميدة عند الجماعات الغربية، والباحثون الغربيون أنفسهم يقررون أن هذه القيم اقتباس من الاسلام والمسلمين عندما اتصل الغرب بالساحة الإسلامية فى الأندلس وفى فترات الهدنة خلال الحروب الصليبية بمصر والشام وكان الغرب قبل ذلك يوصف كما يقول غوستاف لوبون، وإمرتون، وأناتول فرانس بالجهل والبربرية والوحشية ويقرر هؤلاء أن الغربيين عن طريق صلاتهم بالمسلمين اقتبسوا مع العلوم و المعارف مجموعة من الأخلاق الإسلامية، وعن هذه الاقتباسات من العالم الإسلامى ننقل سطورا من أقوال الباحثين الغربيين المنصفين ومنها يتضح أن الاخلاق التى يَظُن بعض الناس أنها هِبَةُ الضمير الأخلاقى هى فى الحق هبة الإسلام للمجتمع البشرى وقد قدّمنا هذه الاقتباسات ضمن ما قدّمنا فى البحث السابق، ونعيد هنا بعض هذه الاقتباسات فهى ضرورية للتدليل على المصدر الحقيقى لأخلاق الغَرْب.

يقول غوستاف لوبون(١): أخذالغرب عن المسلمين أخلاق الفروسية واحترام المرأة، وإذن فليست

---

(١) حضارة العرب ص ٣٣٨.

المسيحية كما يظن بعض الناس في الغرب هي التي أنصفت المرأة بل الإسلام،ومع هذا فإن استفادة الصليبيين من علوم العرب كانت أقل مما يجب، ويعلل ذلك بقوله: ان الجيوش الصليبية كانت جاهلة، ولم تكن تبالي بالمعارف، ومن أجل هذا كانت عنايتها أكثر في ميدان البناء والعمران والصناعة أكثر منها في ميدان الفكر والفن.

ويقول أناتول فرانس: إن أشأم يوم في التاريخ هو يوم معركة بواتيه في فرنسا حين تقهقرت العلوم والفنون والحضارة الإسلامية أمام بربرية الفرنجة(١).

ويذكر أرنولد(٢) توينى أن العالم العربي كان في العصور الوسطى يمثّل محطات إرسال أمكن عن طريقها للغرب أن يقتبس -مع كنوز الفكر والمعرفة- صفات خلقية مثل التسامح الديني والاتجاهات الإنسانية التي أسَرَتْ قلوب الغربيين.

ويقرر Emerton (٣) أن الثقافة التي حصل عليها الصليبيون من المسلمين انتزعت الصليبيين من

---

(١) نقلا عن تاريخ الاندلس للاستاذ العبادى.

(٢) ارنولدكوينبى حضارة الاسلام: من الترجمة العربية للأستاذ محمد فؤاد سبل ص٤٦

Midiaeval Europe pe p.393(٣)

الحياة البربرية، من الجهل والوحشية ودفعتهم قدما إلى عالم الحضارة، وكان الأوربيين يسمعون من القسس أشياء كثيرة عن المسلمين، ولكن ها هم المسلمون أصبحوا فى مرأى العين بالنسبة للصليبيين، فوجدوا فيهم إنسانية عالية، وشرفا وشجاعة، ووفاء بالوعد، وغير ذلك من الصفات التى لم يكونوا يسمعون بها وهم فى ديارهم، وقد ساعد ذلك على تكوين الناحية الإنسانية فى الاوربيون ولم تكن هذه الناحية من قبل ذات بال عندهم.

ويقول Gourge Sarton (٦): إن أوربا لتدين بالشئ الكثير لاسبانيا العربية فلقد كانت قرطبة سراجا وهاجا للعلم والمدنية فى فترة كانت عواصم أوربا خلالها لا تزال ترزح تحت وطأة القذارة والبدائية، وقد هيأ الحكم الإسلامى لأسبانيا مكانة جعلها الدولة الوحيدة فى أوربا التى أفلتت من عصور الظلام.

وهناك باحث حديث هو المؤرخ الامريكى بول كولز، وقد ألف كتابا عنوانه«العثمانيون أنعشوا أوربا وخرّبوا المشرق العربى» وعنوان الكتاب صورة

---

(٦) The Histoy of Scientes p.16 ٣١٤٧

لمحتوياته، فقد خرب العثمانيون العالم العربى، ولكنهم أدخلوا إلى أوربا كثيرا من تعاليم الإسلام وسماحته مما جذب له عدة ملايين فى بلغاريا ورومانيا ويوغوسلافيا واليونان والمجر وألبانيا وهؤلاء الذين دخلوا الإسلام كانوا من أهل البلاد الأصليين، وليس هناك من يدّعى أن العثمانيين أجبروا أحدا على التحول إلى الإسلام وعن طريق هؤلاء تسربت صور من أخلاق الإسلام إلى أوربا كلها.

أما عن النظافة التى وردت فى هذا السؤال فإننا نلجأ إلى Stanley lane-Poole (١) الذى يقول:

وللحمامات شأن كبير فى المدن الإسلامية، لأن النظافة عند المسلمين ليست من الإيمان فحسب، بل هى شرط لازم لأداء الصلوات والعبادات بشكل عام، ذلك فى حين كان مسيحيو العصور الوسطى ينهون عن النظافة ويعدُّونها من عمل الوثنيين، وكان الرهبان والراهبات يفخرون بقذارتهم حتى أن راهبة دوَّنت ببعض مذكراتها فى صَلَفٍ وعُجْبٍ أنها إلى سن الستين لم يمس الماء منها إلا أناملها عندما كانت تغمسها فى ماء الكنيسة المقدس،وحينما عادت أسبانيا إلى الحكم المسيحى أمر فيليب الثانى زوج مارى ملكة أنجلترا

Muslins in Spain p.18(١)

بهدم كل الحمامات العامة فى أسبانيا.

وعلى هذا يمكن القول إن نظافة المدن الغربية تراث إسلامى أدركه الغرب من صلته بالعالم الإسلامى وغضب الغرب عليه حينا ثم تبنّاه عندما عرف فائدته.

أما لماذا لم تتضح هذه القيم لدى المسلمين فتلك نقطة نعترف بها للأسف الشديد ولكنا نوضح أن السبب يأتى من جانب المسلمين وليس من جانب الإسلام .

فالذى يدرس الإسلام يدرك من مصادره الرئيسية أن الاسلام اهتم بهذه القيم الخلقية أعظم اهتمام ويتضح ذلك لمن يقرأ القرآن الكريم وهناك جزءان من المكتبة الاسلامية لكل الأعمار هما الجزءان اللذان يحملان رقم ٣٤. ٣٥ وقد خصَصْتهما للأخلاق الإسلامية من القرآن الكريم وفيهما اقتبستُ آيات القرآن التى تتحدث عن حرية التدين، والإخلاص فى العمل، وإتقانه، وبر الوالدين، وحق الجار، وحق اليتيم، وتتحدث عن الكرم، والبخل، والإسراف، والتقتير، والاعتدال، وعن الصبر، والعفو، والعدل، والمساواة، ومحاربة الإسلام للطبقية، والرشوة، والغيبة والنميمة، والكذب

والحسد، وإشاعة الفرقة، والخلافات، ومحاولة التعرف على عورات الناس، والكبر، والغرور،ولا تكاد توجد مخزاة خلقية إلا حاربها الإسلام وحذّر منها ولا توجد مفخرة خلقية الا حثّ عليها الاسلام وألزمنا باتباعها.

وقد كتب الإمام الغزالى فى إحياء علوم الدين القسم الرابع وسماه المنجيات وفيه شرحٌ وافٍ لما أسماه «رياضة النفس»، وآفات اللسان، وذم الغضب، والحقد والحسد، وذم البخل، كما شمل أحاديث طويلة عن فضيلة الرفق، والعفو، والإحسان، وكتب فضيلة الشيخ محمد الغزالى كتابا مهما عن «أخلاق المسلم».

وإذا تدارسنا عصر الرسالة نجد الرسول صلى الله عليه وسلم نموذجا فى بيته مع زوجاته وأولاده وأحفاده وخدمه، ونجد له علاقةً بأصحابه تعتبر مثالا رائعا لمعاملة الأصدقاء، ونجد له عظات وأوامر واضحة عن تربية الفرد المسلم وعن الأخلاق الإسلامية التى كان يغرسها بين المسلمين فى علاقاتهم بعضهم البعض وكيف ربّى المجتمعَ الإسلامى وربّى الولاة والحكام ووجه الشباب (اقرأ هذه الدراسة فى الجزء الاول من موسوعة التاريخ الاسلامى للدكتور أحمد شلبى ص٢٨٩-٤٢٣).

هذه هى أخلاق الإسلام كما جاءت فى القرآن والحديث، ولكنا نعترف للأسف أن المسلمين بعدوا عن هذه الأخلاق لأسباب كثيرة هى ما عانوه من حرب مع الصليبيين والتتار و الاستعمار والصهيونية فقد اتضح للمسلمين أن هؤلاء لا يعترفون بالعدل والمساواة والصدق والأمانة، فتخلق المسلمون بأخلاقهم وهم يواجهونهم.

وليس للمسلمين عذر فى ذلك فيما أعتقد فقد كان عليهم أن يثوبوا للرشد بعد أن خفتت أو توقفت هذه المعارك، ولكنا للأسف الشديد نرى الهيئات الإسلامية التى تسيطر على التعليم اتجهت فى دراستها للحواشى وتركت لُبّ الموضوعات، وحسبك أن تنظر فى مناهج المعاهد الإسلامية فستجد اهتماما كبيرا بموضوعات فقهية تتحدث عن الوضوء والاستنجاء والتيمم والجبيرة بالكثير من التفصيل ولكن ليست هناك أية دراسة ذات بال عن الأخلاق والقيم الإسلامية كما لا توجد ملاحظة لتؤكد السلوك الإسلامى عند طلاب هذه المعاهد، وتوجد فى المعاهد الإسلامية أحاديث عن خرافات كثيرة كخرافة المهدى المنتظر وكثير من الإسرائيليات وتنال هذه من بعض الباحثين والمؤلفين جهداً أكثر مما تنال الأخلاق والقيم الإسلامية .

ويقال إن طالبين من الغرب عرفا الإسلام عن طريق اتصالهما ببعض الدعاة المسلمين المستنيرين فاعتنق الطالبان الإسلام، وخصصت إحدى الدول الإسلامية منحتين لهذين الطالبين ليكملا تعليمهما فى الجامعات الاسلامية العربية.

وفرح الطالبان بهذه المنحة، وسرعان ما شدّا الرحال الى الجامعة الاسلامية العربية، والتحقا بحلقات العلم، وظلا على ذلك بضعة شهور ثم أقبلا على ما أقبل عليه الأستاذ الامام محمد عبده من قبل، عندما يئس من الدراسة بالجامع الاحمدى وعاد لقريته ليعمل فى الزراعة، فشد الطالبان الرحال مرة أخرى للعودة للوطن، ولما سُئلا عن ذلك أجابا بأن ما يسمعانه فى المحاضرات بعيد عن الاسلام ولا يجذبهما إليه، فخلال هذه الشهور كان الحديث عن أنواع المياه وعن الجبيرة وعن المنطق وعلم الكلام وشواذ القواعد، وما لهذا جاء هذان الطالبان وتركا الوطن والأهلين، وصرخ الطالبان أين الفكر الاسلامى؟ وأين حضارة الاسلام؟ وأين أخلاقه؟ وأين اللغة العربية الفصحى وبلاغتها؟.

ما أجدر هذين الطالبين بالإشفاق، لم يجدا فى معاهد الإسلام إسلاما فقنعا بما عرفاهُ من مبادئ

جذبتهما من قبل إلى الإسلام وعادا قبل أن تأخذهما دوامة المناهج الحالية.

ونشهد كذلك زحف الإسلام فى هذه الأيام لدى أرقى الأوساط وكبار المثقفين بأوربا والولايات المتحدة، وليس إقبالهم على الإسلام إلا نتيجةً القراءة عن الفكر الإسلامى السليم، أو الالتقاء ببعض الموهوبين المخلصين من الدعاة وهم قليلون.

تلك هى المناهج التى تُقَدَّم الآن باسم الاسلام، وهى فى الحق لا تحمل الإسلام، ولا تغرس أخلاقه، وبسببها يعيش العالم الإسلامى فى اضطراب وقلق، وما أجدرنا أن نسرع باحثين عن الإصلاح والعودة للمناهج الإسلامية الحقيقية.

وقد أصدرتُ أخيرا مجموعة من الكتب بعنوان «كتب التنوير الحقيقى» ومنها كتاب عنوانه «الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاق» وقد جاء فيه مما يتصل بموضوعنا ما يلى:

وقبل أن نعطى نماذج من الأخلاق الإسلامية ينبغى أن نعطى بعض الدراسات التى توضّح مكانة الأخلاق

الإسلامية بالنسبة للدين الاسلامى:

يقول تعالى« أرأيت الذى يكذب بالدين؟ فذلك الذى يدعُّ اليتيم»فالذى يظلم اليتيم ويقهره مكذب بالدين وجاهل بالتزاماته ومقصّر فيها.

ويقول تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور(سورة الحج.٣٠) فجمع الله سبحانه وتعالى بين عبادة الأوثان وبين شهادة الزور فى القبح وضرورة الاجتناب.

ويقول تعالى :«ويل للمطففين» والويل وادٍ فى جهنم لأولئك الذى يبخسون الناس حقوقهم فى كيلٍ أو وَزْنٍ أوْ ميراثٍ أو قسْمة أو ما يشابهها فهؤلاء إيمانهم غير كامل ولذلك هدّدهم الله بالويل والهلاك.

وفى حديث للرسول صلى الله عليه وسلم وهو يتحدث عن الأمانة يقول:«لا إيمان لمن لا أمانة له وإن صام وصلى». (سند أحمد)

وعن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال:

- أثقل ما يوضع فى الميزان يوم القيامة حسن

الخلق. (سند احمد)

– وسأله مرة رجل: ما الدِّين يارسول الله؟ فقال : حسن الخلق. (الموطأ مسند احمد)

– وقيل للرسول إن فلانةَ تصوم النهار وتقوم الليل ولكنها تؤذى جيرانها فقال : هى فى النار.
– وقال : إنما بعثت لأتمِّم مكارم الاخلاق.(الموطأ ومسند أحمد)

وهذا كله يوضح مكانة الأخلاق فى هيكل الإسلام.
ثم أوردت فى هذا الكتاب نماذج من الأخلاق الإسلامية التى تُرَبّى مجتمعا إسلاميا سليما، وفى ختامها قلت:

«هذه نماذج من أخلاق الإسلام، فعلى كل مسلم أن يرعاها كما يرعى الصلاة والصوم فبها يكمل الإيمان وينال المسلم رضا ربه، وقد اقتبس كثيرون من غير المسلمين هذه الأخلاق، وغابت هذه الأخلاق أو كادت تغيب للأسف عند الكثيرين من المسلمين فلنتدارك الأمر بحزم وعناية والله ولى التوفيق.

«إننا نرى المساجد مزدحمة بالمصلين، ونرى المسلمين جميعا تقريبا يصومون شهر رمضان ونشاهد ملايين المسلمين يؤدون فريضة الحج، ولكننا للأسف نرى غيبة الأخلاق الإسلامية ولذلك أدعو كل مسلم أن يحزم أمره ويتخلق بإصرار بالأخلاق الإسلامية ليكتمل دينه، وإننا لو فعلنا ذلك فسنكسب الجولة أمام التحدّى الذى نواجهه الآن من أعداء الإسلام، وقد بلغتُ، فاللهم أشهد.

إننا نطالب بإعادة النظر فى المناهج الاسلامية، فنُدخل عليها مواد كانت أساسية فى صدر الإسلام كالحضارة الاسلامية ومقارنة الأديان والأخلاق الاسلامية ونقلل من العلوم التى شغلت المناهج دون أن تظهر لها أية فائدة كالمنطق والتعصب للمذهبية والتفاصيل والفروض فى دراسة الفقه، ونحذف الغموض والإسرائيليات من تفسير القرآن الكريم، وفى تدريس اللغة العربية لا نقنع بالنحو والصرف، وانما نهتم بالقراءة والكتابة والإلقاء حتى لا يوجد متخرج من كليات اللغة وهو عاجز عن التعبير عن نفسه بالكلمة المقولة أو الكلمة المكتوبة.

الانتحار والإكتئاب وتمزُّق الأسرة في المجتمعات الغربية:

وبمناسبة الحديث عن الأخلاق والضمير الأخلاقى عند الغَرْب، نذكر أن هناك قاعدة ارتضاها الباحثون فى علم الاجتماع وفى مقارنة الأديان، وهى **«لا أخلاق بدون دين»** فالدين هو الذى يرسم الفضائل ويحثُّ عليها، ويحدد الرذائل وينفِّر منها، ولم يستطع العقل وحده- كما ذكرنا من قبل- أن يحدد الفضائل والرذائل، وقد غابت الأديان عن الغرب إلا قليلا جدا، ولم يعد يطرق ساحاتِ الكنائسِ إلا عددٌ محدود جدا من كبار السن كما تقول مجلة «الحقيقة» المسيحية الأمريكية.

ومع غيبة الدين غابت الأخلاق إلا ما رسخ فى المجتمع الغربى من مظاهر خلقية اقتبسها الغرب من المسلمين، فالبَشَر عجزوا عن الاتفاق على الأخلاق الفاضلة والأخلاق الرديئة، فأباحت المدنيات الغربية الاستعمار والاستيلاء على ثروات الدول الضعيفة كما تفشى النظام الطبقى، ولم تقبل هذه المدنيات المساواة بين الرجل الأبيض والملونين،

ومع غيبة الدين ظهرت فى الغرب معالم متناقضة

مع الدين، ومن أخطرها الانتحار وليس الانتحار إلا نتيجة للجهل بالله جل وعلا وعدم الرضا بقضائه، ومنها كذلك الاكتئاب تأثرا بأحداث تمس أي إنسان فيُغرِق نفسَه فى الحزن حتى ينتحر أو يكتئب، ومن أشهر المعالم التى ترتبت على غيبة الدين تمزُّق الأسرة حتى أوشك الأب أن يجهل خطوات ابنه أو ابنته بعد سنِّ الرشد ولا يعرف الأبناء أحوال آبائهم، وشاع انفصال الزوج عن زوجتة بدون طلاق لصعوبة الحصول على الطلاق، ويعمد الرجل بعد الأنفصال إلى الخدانة، كذلك تعمد المرأة وتختفى بذلك حياة الأسرة التى سماها القرآن الكريم «سكنا» أو توشك على الأختفاء. أين الضمير الأخلاقى فى مجتمعات تبرز بها هذه المآسى

الضمير الأخلاقى والعنف فى المجتمعات الغربية:

فى حديث للصحفيَّة المصرية التى تعيش فى الولايات المتحدة «مها عبد الفتاح» كتبت فى الأخبار الصادرة بالقاهرة فى يوم أول ديسمبر ١٩٩٣ مقالا يدل على الهوة الخلقية التى يعيش فيها الغرب: قَتْلٌ وسرقة واغتصاب أعراض وعنف يدعو للرثاء والحزن، ويدل على غيبة الأخلاق مع غيبة الدين كما يدل على

انهيار تام[١٠] للقيم وفيما يلي لقطات من هذا المقال:

«كل من يعيش في أمريكا اليوم وفي واشنطن ونيويورك بنوع خاص صار عرضة لنوعية جديدة من الإجرام لا أجد لها تعبيرا يناسب أكثر من وصفها بجرائم الدم البارد، أي موجة مكتسحة لجرائم بلا عقل ولا وازع ولا حتى تدبير أو سبب مفهوم، جرائمُ بالصدفة. أيْ صدفة وجود الضحية في المكان الخطأ والتوقيت الغلط لا أكثر ولا أقل. عنفٌ بلا هدف ولا معنى، فربما يشبه نوعا من أنواع الرياضة؛ عيال أعمارها تتراوح ما بين أربعة عشر و سبعة عشر وعشرين ..يرتكبون جرائم قتل »

«لذا فعندما يعلن المكتب الفيدرالي للتحقيقات بأن ٨٣٪ من سكان الولايات المتحدة مهددون بالوقوع ضحية لجريمة أو لأخرى خلال حياتهم فلابد أن ننظر للأمور بغير استخفاف وحذر. »

«ونحن نعيش حالياً مواسم الرعب ..وفي بعض أوساط واشنطن يتحاشى الناس تماماً أن يخرجوا من بيوتهم ليلاً..فلم يعد يوجد مكان يعتبر آمناً.. فالخروج عموماً هو نوع من المجازفة ..

«باختصار : ما يشهده المجتمع الأمريكي اليوم هو أفظع تهديد يحدث لأي مجتمع لأن معالم الجرائم تدل على انعدام الضمير أو ضموره.. ففي كتاب ظهر مؤخراً بعنوان «الشعور المعنوي والأخلاقي في عالم الجريمة » لخبير في عالم الإجرام اسمه جيمس ولسون يقول فيه: إن الوازع الأخلاقي مزروع مغروس في النفس البشرية بالسليقة ولكن مثله مثل الاستعدادات الأخرى مثل الكلام والمشي على القدمين يحتاج إلى تدريب ومحاكاه؛ فالضمير الكامن في الطفل لن يتحرك وينمو ويعرف الخطأ من الصواب والحق من الباطل من غير الغرس في الطفولة وتدريب الأسرة

«ولأول مرة بدأ الأمريكيون يدركون هول التفسخ الذي طرأ على العائلة الأمريكية ومعدلات الطلاق المرتفعة وانعدام الرقابة على الأبناء، ثم النسبة غير المعقولة في عدد الأطفال غير الشرعيين ..ولكل هذا نتاج يذهب معظمه إلي الشارع »..

لا نستطيع بعد هذا أن ندعي أن الغرب قد استطاع أن يخلق ضميرا أخلاقياً، وعن طريقه رسّخ القيم الحميدة.

س٤-دخل استقبالُ القنواتِ التلفزيونية الغربية الكثير من البيوت عن طريق الأطباق، فهل يجوز استقبالها بكلّ ما تنقله من أشياء قد تتعارض مع قيمنا وديننا ؟

ج- ماذا يحدث لو إجتاح العالمَ إعصارٌ من القيظ أو البرد أو الأوبئة المُعْدية كالكوليرا مثلا؟

هل نستطيع قفل الأجواء بيننا وبين هذا الوافد الخطر ؟

الإجابة بالنفى وكل ما تقدمه المدنية هو وسائل حماية، كوسائل التبريد والتكييف الخاصة أو المركزية، كذلك وسائل التدفئة لمقاومة الصقيع، ثم التطعيم ضد الأمراض المعدية.

وما تنقله القنوات التلفزيونية الغربية هو مشابه للأمراض المعدية لا نستطيع منع استقبالها وبخاصة لأنها تجئ وسط موكب حافل من الفكر يحتاج المثقف لبعضه أو للكثير منه ولكن الذى نستطيعه ويلزم أن نعمله هو عملية التطعيم، وعملية التطعيم هنا هى تقديم ثقافة دينية ووطنية وخلقية للمشاهد حتى يستطيع أن يستقبل ما يفيد ويُعْرِض عما يتنافى مع قيمنا وديننا .

وقد عشت مع عدد كبير من المصرين عدة سنوات ونحن طلاب بجامعة لندن وجامعة كمبردج وكنا مختلفى الثقافة والاتجاهات الوطنية والدينية وواجَهْنا فى أوربا كثيراً جداً من الأشياء التى تخالف قيمنا وديننا، ومن أيسرها العلاقات الصريحة غير الشرعية بين الفتى والفتاه وشرب الخمر الذى كان أحياناً هو الشراب الوحيد على المائدة، بل كان منها ما هو أبشع من ذلك كان منها « منظمة شهود يهوه » التى تعمل لحساب الصهيونية، وتمد شراكها لتوقع بأجيال المستقبل، ويتَّجه أكثر نشاط هذه المنظمة إلى البلاد التى بها جامعات إقليمية يلتحق بها بعض الطلاب الغرباء، أو التى بها مصانع يتدرب بها بعض العمال وأمثال هؤلاء الشبان يُحِسون بوحشة، ويتمنون أن يوجد من يُعْنَى بهم فى غربتهم، وكثيرون منهم وافدون من الشرق أو بعض دول أوربا الذين ينزَحون إلى إنجلترا لمحاولة إجادة اللغة الإنجليزية أو إلى فرنسا لإجادة اللغة الفرنسية، وبعض هؤلاء الشبان سياح يمضون إجازة ترفيهية فى هذه البلاد .

إن هؤلاء الشبان فرصة سانحة لمنظمة شهود يهوه، فهى تتصيد هؤلاء وتعرض عليهم إستعدادها لمساعدتهم وتقدم المساعدات البسيطة فعلاً مما يجعل الشاب بعد

حين يصبح أسيراً فى أيديهم .

وتكون فرصة « منظمة شهود يهوه » أعظم عندما يكون الشاب الغريب يعانى من بعض المشكلات فهذا شاب ضاع جواز سفره، أو سرقت نقوده، أو يبحث عن عمل يرتزق منه، فمثل هذا الشاب تلتقطه هذه المنظمة وتحاول فعلاً أن تَحُلَّ أزمته، ونظير ذلك يسلمها الشاب زمام نفسه .

وللتعرف على هؤلاء الشباب وسائل كثيرة تجيدها هذه المنظمة، فلدى مكاتب تأجير الحجرات والمساكن فرصة لتعرِف المنظمة شاباً يبحث عن مسكن، فتلتقطه المنظمة وتقدم له مسكناً ثم تستغله لأهدافها، أو يتعرض الواحد منهم لفتاة جميلة تدقُّ بابه، وتقدم له بعض الأسئلة عن حالته وحاجاته ومشكلاته، وتَعِدُه الفتاة بالعون والمساعدة لحل هذه المشكلات وعن طريق هذا الشاب تتعرف الفتيات على شبان أخرين .

ومن وسائل التعرف على الشبان المغتربين قيام المنظمة بطبع نشرات دورية بلغات متعدده تدعو فيها الشبان إلى مراكز للتعرف والتسلية وقضاء المشكلات الاجتماعية، وفى النشرات عناوين هذه المراكز .

ماذا حدث لنا فى مواجهة هذه الآفات ؟

طبيعى لم يكن فى مقدورنا أن نوقف تيار ما يسمونه الحرية فى مجال العلاقات بين الشاب والشابة، ولا أن نُلزِم القوم بتقديم الماء القراح على المائدة، ولا أن نطرد من البلاد منظمة شهود يهوه وأمثالها من المنظمات الصهيونية

وهكذا وقفنا وجها لوجه أمام هذه المخاطر، وكان الدواء الوحيد الذى حصَّن أكثرنا هو شدة الانتماء للدين والوطن وسلوكٌ سمعناه ممَّن قبلنا ونقلناه لمن جاءوا بعدنا وهو أننا جئنا لنتعلم لا لننحرف، وجاءت الحصانة للأكثرية الغالبة بسبب الثقافة الفكرية الدينية والوطنية التى كان يتمتع بها أولئك المبعوثون الذين كانوا يمثّلون طبقة من أعلى الطبقات فى ميزان الوطن

صحيح للأسف الشديد أن التيار جرف قلةً من الشباب العرب والمصريين لقلة ما كانوا يستمتعون به من مناعة في مقاومة هذه الأمراض .

ولا نحب فى الإجابة عن هذا السؤال أن نتوقف

عندما تنقله لنا القنوات التلفزيونية الغربية مما يتعارض مع قيمنا وديننا بل نذكر أن القنوات التلفزيونية المصرية تقدم لنا أحياناً ما يتعارض مع هذه القيم، وعند كتابة هذه السطور تعرض القناة الثانية مسلسلاً يجذب الكثير من الانتباه عنوانه :

« The Bold and Beautiful»

واختير له وقت من السهرة لا يحظى به أى مسلسل دينى فى شهر رمضان المعظم، وهذا المسلسل ردئ الفكرة والأداء، فهو يلح على نقطة أو نقاط منحرفة؛ ففتاة جميلة تكره زوجها وتحب أخاه، وقد شاع ذلك حتى أطلق الزوج النار على أخيه، ومجموعة من الفتيات حملن سفاحا، وزوجة تخون زوجها وتعترف بذلك ...... «وهذه المواقف المشينة تكرر وتكرر حتى أن بعض النقاد الصحفيين كتب يقول إنه قاطع التليفزيون مدة أسبوعين للاصطياف، ولما عاد وجد المسلسل حيث تركه، نفس الفكره ونفس المواقف، ويذكر الأستاذ محمود عبد المنعم مراد أنه سمع أن المسلسل موضوع «بوجه خاص للمتخلفات عقلياً.

وعلى هذا فالقنوات التليفزيونية الغربية والمصرية سواء فى نقل ما يتعارض مع قيمنا وديننا .

وفى مسلسل الجرئ والجميلات طالما تساءلت : ما

الهدف من عرض المسلسل ؟ هل الهدف أن ندفع شبابنا وشباتنا للقدوة التى قد يرى البعض بأنها قدوة حسنة؟ الإجابة أننى لا أعرف الهدف من عرض هذا المسلسل الردئ وقد كتب الكثيرون ضده ولكن لا أحد يسمع .

وإذا كنا لا نستطيع منع القنوات التلفزيونية الغربية أو المصرية من تقديم ما تريد، ولا نستطيع منع البيوت التى بها أطباق من استقبال ما تذيعه التليفزيونات الغربية فإن عندنا دواء لذلك هو كما قلنا التطعيم لمقاومة هذه الأوبئة، والتطعيم هنا هو تقديم جرعات متصلة من الدراسات الإسلامية المستنيرة للطلاب فى الجامعات والمعاهد العالية والمتوسطة والمدارس وتقديم جرعات من هذه الدراسات للجماهير عن طريق الدعاة المستنيرين وعن طريق التليفزيون إذا تفضل التلفزيون فأتاح الفرصة للباحثين أن ينتقدوا ما يقدمه هذا الجهاز الوطنى .

لقد رعى التلفزيون المصرى كرة القدم حتى جعل أنديتها تفوق الأحزاب السياسية، وجعل الناس يتابعون الأسواق التى يباع فيها اللاعبون الأكْفاء، وأنا شخصياً أخجل من ناد عجز عن تربية الأجيال وقنع

بشراء لاعب يختلف معناً لوناً وديناً ووطناً ويبنى ذلك النادى فوزه فى المباريات على مهارة هذا اللاعب . وفى تقديرى ان هذا النادى غير جدير بالبقاء، ولكن التليفزيون والأندية الرياضية التى جذبت الجماهير لهذه اللعبة فى المدينة والقرية عجزت تماماً عن تربية روح رياضية بين اللاعبين والجماهير، فأصبحت الملاعب ليست مكاناً لمباريات رياضية بقدر ما هى ساحة لمعركة مدمرة يُسْتَغل فيها الطوب والزلط والكراسى وزجاج المياه الغازية ، وعدم تطرقه لعيب اللاعبين وكذلك الجماهير بالمشاهدة لتعلمها الهزيمة وكرهها العمل والإنتاج

ومعنى هذا أن التليفزيون يربّى المخاطر بالمسلسلات والمباريات الرياضية التى تأخذ وقتاً طويلاً طيلة اليوم، وهى مع ذلك مأساه بكل المقاييس .

إن العالم الجديد بالنسبة للتليفزيونات يحتاج إلى وقفة إصلاح لا للتلفزيون نفسه فذلك ما يفوق الطاقة، بل للمشاهد المصرى والعربى حتى نمكّنه من الاستفادة بما ينفع وإيقاف الجهاز عندما يذيع ما يضر .

صحيح أن علماء التربية يرون إنه من الخطر والخطأ أن تعرض على الناس بعض المناظر المغرية ثم نطلب منهم الابتعاد عنها، فأنت بذلك كمن يضع النار

بجانب البترول ويحاول ألا تصل النار للبترول .

ويمكن للباحث أن يتّهم التلفزيونات الغربية بأنها ترمى إلى إفساد مشاعر المحافظين من الناس وجرْهم إلى الخطيئة، ولو استطعنا بوسيلة أو بأخرى الامتناع عن متابعة هذه التليفزيونات لاتَّجهتْ إدارتها إلى الفضيلة وخففت من تحدى الشعور الإسلامى الذى يرفض متابعة الانحراف والمنحرفين .



س٥ - يضطر بعض المسلمين الذين يعيشون فى البلدان الغربية لقبول أوضاع قد لا تتفق مع الإسلام، مثل الطلبة الذين يضطرون لتناول وَجَبَاتهم فى مطاعم الجامعات وهو مُعَدٌّ بمواد وطرق محرمة إسلامياً فما هو الحكم بالنسبة لهم ؟

ج- إن الأطعمة فى تقديرى أيسر ما يواجهه المسلمون وبخاصة الطلبة فى المجتمعات الغربية فالمسلمون فى أوربا يواجهون أخلاقاً غير الأخلاق وقيماً غير القيم، والفكرُ الإسلامى سمحٌ جداً فيما يتعلق بأطعمة أهل الكتاب تبعاً لقوله تعالى «وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم »(سورة المائدة الآية الخامسة) وقد تعرض الفقهاء المسلمون لقضية ذبائح أهل الكتاب فى ضوء هذه الآية الكريمة.

فقد خطر سؤال بأن ذبائح أهل الكتاب لا يذكر عليها أسم الله، واللهُ سبحانه وتعالى يقول «فكلوا مما ذكراسم الله عليه »(الأنعام١١٨) وأجاب الفقهاء بأن ذكر اسم الله مندوب وليس واجباً (١).

---

(١) الشيخ محمد الغزالى: مائة سؤال عن الأسلام جـ٢ ص ٢٠١

وفى البخارى أن قوماً قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله إن قوماً يأتوننا باللحم لا ندرى أذكروا اسم الله عليه أم لا، فكانت إجابة الرسول إجابة متمشية مع ما ذكرناه آنفاً بأن ذكر اسم الله مندوب وليس واجباً، ومن هنا قال الرسول :سَمُّوا عليه أنتم وكلوا. (صحيح البخارى).

وخطر سؤال أخر هو أن أهل الكتاب قد يذبحون الذبائح باسم الصليب مثلاً وهذا لا يبيح الأكل من هذا اللحم لقوله تعالى «ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه» (الأنعام١٢١)(٢) .

وأجاب بعض الفقهاء ممن يؤخذ برأيهم بأن النص القرآنى الذى يبيح تناول طعام أهل الكتاب مطلق والله سبحانه وتعالى أباح هذا الطعام مع علمه بما يفعل أهل الكتاب بالنسبة لذبائحهم .

وسؤال أخر طرأ وهو أن أهل الكتاب لا يتبعون طريقة الذبح الإسلامية، فقد يُنْهُون حياة الدواجن أو الحيوان بالخنق أو بضربة شديدة على الرأس أو بصعق كهربائى، وقد سئل مثل هذا السؤال للقاضى ابن

(٢) المرجع السابق ص ٣٠٢

العربى المالكى فأجاب : كلوا منها فأنها طعام أحبارهم ورهبانهم وإن لم تكن هذه الطرق زكاةً عندنا فهى ذكاة عندهم والله سبحانه وتعالى أباح لنا طعامهم .(١)

ويقول أحد الفقهاء الموثوق بهم «الشيخ عبد الله بن زيد» :

كل ذبيحة من حيوان أو دجاج تُجْلَب إلى الناس وهى مجهولة لا يُعْلَم مَنْ ذبحها ولا كيف ، فأنها تندرج فى عموم الحديث الشريف الذى رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن جماعة قالوا يا رسول الله، إن قوماً يأتوننا باللحم لا ندرى ذكروا اسم الله عليه أم لا قال سمُّوا الله أنتم وكلوا .

ومن القواعد الفقهية أن الله أحل أشياء فهى حلال وحرم أشياء فهى حرام وسكت عن أشياء فينبغى ألا نبحث عنها، وفى هذا الموضوع نقنع بما ذكره القرآن الكريم من حل طعام أهل الكتاب للمسلمين بدون أن نتابع دقائق الموضوع .

وكان الشيخ محمد رشيد رضا يقول : مالا يوجد

(١) الشيخ محمد الغزالى: المرجع السابق

نص صريح بتحريمه أو بتحليله يترك لذوق الإنسان وطبيعته فما اشتهاه الإنسان أكله وما أستخبثه تركه .

وقد قُدِّم لى مرة فى الطائرة طبق من الأرز عليه شريحة من لحم الخنزير فقلت للمضيف إنى لا أكل لحم الخنزير فاعتذر ورفع هذه الشريحة فقلت : إنها مست الأرز فأصبح الأرز كذلك محرماً فنظر لى فى دهشة وكان بجوارى رفيق غمز لى وقال :« فمن أضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه (البقرة١٧٣» وبدأنا نأكل ويبدو أن المضيف نقل كلامى لرئيسه فى الطائرة فبعد لحظة أحضرا لى طعاماً أخر واعتذرا وقالا أن هذا الطعام خال تماماً من لحم الخنزير (No Pork)

وقد عشت فى جامعة كمبردج عدة سنوات وأكلنا فى مطاعم الجامعة ولم نحس بحرج فقد كانت الأحكام الفقهية التى أوردناها ماثلة أمامنا .

ولم يكن ذلك هو كل أمر طعامنا فى إنجلترا بل كانت هناك أمور أكثر للتيسير يمكن أن يحصل عليها من حاول الوصولّ لها ففى لندن هناك جزارون هنود وباكستانيون مسلمون يذبحون الذبح الإسلامى تماماً، وكنا نهرع لهم كلما رغبنا فى أكلة دسمة وليس فيها

شبهةً وكانوا يحسنون استقبالنا .

وفى كمبردج قدم لى زملائى الذين سبقونى بهذه الجامعة جزارا انجليزيا عاش فى مصر فترةً خلال الحرب العالمية الثانية، وكان يحب مصر جداً ويعشق أهلها، وكنت أذهب اليه فيحضر لى الدجاج حياً ويذبحة أمامى ويذكر اسم الله وهو يذبحة .

إنهم يقولون إن القابض على دينه كالقابض على الجمر، ولكن أكثرنا لم يجد لَسْع الجمر ونحن نحافظ على آداب الدين الإسلامى، وفى كثير من الحالات كنا نجد تعاطفاً من المشرفين على المدن الجامعية وكان هذا التعاطف ييسِّر لنا الحياة، فبمرور الزمن عرفونا وأبعدوا عنا ما يتنافى مع ديننا من مطعومات وأعدوا لنا البديل، وقد حل شهر رمضان، وبطبيعة الحال كانت مواعيد الغذاء والعشاء مخالفة لمواعيد طعام الإفطار وقت الغروب وطعام السحور، فاحتفظوا لنا بطعام الغذاء للإفطار وقت الغروب وبطعام العشاء للسحور .

❖❖❖

س٦- مصادر الثقافة الحديثة معظمها غربية، وهى تغرس قِيَماً ليست من الإسلام، فهل تمنعها ؟

ج -هذا السؤال قريب الشبه بالسؤال السابق الذى تحدّث عن القنوات التلفزيونية الغربية التى تقتحم البيوت الإسلامية عن طريق الأطباق، ولكن السؤال الذى معنا الآن أوسع دائرةً لأنه يشمل العديد من المصادر التى تَنْقل للمسلمين أفكار الغرب، ومن هذه الأفكار السينما والمجلاتُ وأشرطةُ الفيديو والكتب التى يكتبها المستشرقون غير المنصفين أو الاسرائيليات التى تنبثُ فى كثير من المطبوعات .

وهذه المصادر وأمثالها تحمل الكثير من القيم المعارضة للإسلام ولابد أن نقف منها موقفا حذرا .

وقد نصحنا فى السؤال السابق المرتبط بما تنقله القنوات التليفزيونية أن نحصّن الشعب المسلم بالثقافة الإسلامية التى يستطيع بها أن يطرد عن نفسه ما تحمله هذه الأجهزة من أشياء مشينة وقد جاء هذا النصح نتيجة لعدم إمكاننا منع هذه الأشياء من دخول بيوت المسلمين، أما المصادر التى ترتبط بالسؤال الذى معنا الآن والتى ذكرناها أنفاً فعندنا

وسائل أخرى تضاف إلى الثقافة الإسلامية التى هى أساس فى مقاومة كل انحراف يوجَّه للعالم الإسلامى للنيل من الإنسان المسلم، والوسائلُ الأخرى تتبعها بعض الدول الإسلامية كالسعودية، التى لا تسمح لهذه المصادر بالدخول إلى البلاد إلا بعد أن تمرَّ بهيئة لفحصها والتأكد من سلامتها؛ فالأشرطة السينمائية تمر على المختصين لعرضها فى عرض خاص وللسماح لها بالدخول أو رفضها أو استعمال مقص الرقيب لحذف ما بها مما يعارض قيمنا وآداب الاسلام .

أما المجلات فقد يكون من الصعب قطع ورقة أو أكثر منها فهى إما أن تقبل وإما أن ترفض .

ونجئ إلي الكتب التى قابلتنا فى أوربا بما تحمله من إسرائيليات أو اتجاهات منحرفة للمستشرقين وبعضُ المستشرقين معتدلون مثل:

Thomas Arnold,Praf.AJ.Arberry ولكن هناك بعض المتعصبين مثل جولدزيهر ورينان ومنهم من ساروا فى ركب الاستعمار بصفة مباشرة فأصبحوا ضباطاً فى الجيش أو إداريين أو مشرفين ومنهم من وقف أكثر دراسته على النقاط التى فيها غمزات وفرص لتحريف التاريخ وإظهار مثالب المسلمين ومنهم من عادى الإسلام على اعتبار أنه دين تلفيقى وانتشر

بالغزو وحد السيف واتهم المسلمين بأنهم ذوو عقول متحجرة مثل لا منس ومنهم من ذكر أن القرآن الكريم من صنع محمد وبعضهم اعتدى على الرسول صلى الله عليه وسلم ورماه بالحرص على تعدد الزوجات بدافع الشهوة وغير هذه من الافتراءات.

المهم أن هذه الكتب فيها كثير من المخاطر ولا مانع أن يطّلع عليها المثقفون الذين يستطيعون أن ينتفعوا ببعض ما يرد فى هذه الكتب، ولذلك ينبغى فحص هذه الكتب فلا ندخل البلاد منها إلا مالا يمس عقيدة المسلم وإلا ما فيه نفع للفكر والثقافة عموما.

ونتمنى أن توجد مؤسسة للترجمة، فالكتب، والمجلات التى لن نسمح لها بدخول البلاد ليست كلها منافية للقيم والآداب الإسلامية بل فيها ما يفيد، ولهذا فإننا عندما نمنع مقالات وأبوابا تمس شعورنا واتجاهاتنا نترجم للعربية ما ينفع القارئ المصرى والعربى حتى لا نحرم الناس مما كتبه الغربيون ولا يتنافى مع أهدافنا واتجاهاتنا الدينية والقومية.

وإذا كنا نرفض بعض كتب المستشرقين التى تغمز الإسلام وتهاجم المسلمين، فإننا فى نفس الوقت نرفض كتبا وتصريحات ،ومقالات يصدرها بعض العلمانيين

فى داخل الوطن العربى تهاجم الإسلام والمسلمين، ومنذ فترة قصيرة خرج علينا طبيب بيطرى من الواضح أن دراساته الإسلامية ضحلة للغاية، وانساب يهاجم القيم الإسلامية وينتقد ما فرضة الله علينا.

ونحن بالتأكيد ضد قصف الأقلام، ولا نقبل أبدا تحطيمها فذلك الداء لو ظهر سيقضى على الخير و الشر، ولكنا ننادى بضرورة السرعة فى التصحيح ورد هذه الحراب المصوَّبة للقيم، وأنا أدرك أن بعض هؤلاء مزوَّدون بنفوذ وأموالٍ واسعة، ومقاومتهم صعبة، ولكن لابد مما ليس منه بدٌ، والله سبحانه وتعالى سينصر الحق وإن طال احتباسه، وجمهور المسلمين يلاحقنا ونحن نرد ضلالات العلمانيين.



س٧ – ما هو الرأى فى محاولات البعض تفسير آيات من القرآن الكريم بوصفها إثباتا لنظريات علمية حديثة قد يثبت خطؤها مستقبلاً؟

ج – نظر المفكرون المسلمون للقرآن الكريم على أنه كنز للمعارف والأخلاق، وعندما بدأ الاتجاه لتفسير القرآن الكريم فى عصر التدوين ظهرت اتجاهات المفسرين الفكرية فى تفسيرهم للقرآن فمنهم من اتجه فى تفسيره اتجاها فقهيا كالقرطبى والجصاص، ومن كانت عنايته بوجوه الإعجاز اتجة فى تفسيره إلى البحث عن هذه الوجوه كالباقلانى، وعلى هذا النمط ظهرت تفاسير لها اتجاهات نحوية أو مذهبية أو فكرية

ونحن الباحثين فى الحضارة الإسلامية اتجهنا إلى القرآن الكريم نقتبس منه مبادئ الفكر السياسى والاقتصادى والاجتماعى والعسكرى، فكان القرآن معينا واسعا أمدَّنا بما احتجناه لإقامة صرح الحضارة الإسلامية.

هذا فيما يتعلق بعلاقة القرآن الكريم بالعلوم الإسلامية أما عن العلوم الطبية والفلكية أو نحوها

فقد اتجه المفكرون المسلمون إلى أن القرآن الكريم ليس كتابا فى هذه الدراسات وفى ذلك يقول الإمام محمد عبده:

إنه ليس من وظائف الرسل ما هو من عمل المدرسين ومعلمى الصناعات، فليس كما جاءوا له تعليم التاريخ، ولا تفصيل ما يحويه عالم الكواكب ولا ما تحتاج إليه النباتات فى نموها، ولا ما تفتقر إليه الحيونات في بقاء أشخاصها وأنواعها، وكل دخل الأديان في ذلك هو حراسة العقول حتى لا تزل، وإذا كان قد ورد فى كلام بعض الأنبياء إشارات للكون والأفلاك وغيرها فالمقصود توجية النظر إلى حكمة المُبْدِع، أما التفاصيل العلمية فأبحاث يطلبها من استطاع من مجالاتها العلمية.

القرآن والحقائق العلمية:

ويقرر الاستاذ أحمد حسين (١) الحقيقة السابقة، ولكنه يضيف أن القرآن الكريم حوى بعض اللمحات العلمية التى أثبت العلم الحديث دقتها وروعتها، وهاك موجز عباراته:

(١) الإسلام ورسوله بلغة العصر ص ١٨٩

القرآن ليس كتابا علميا بالمعنى الفني، فهو لا يتوفر على دراسة فرع معين من فروع العلم، ولا يبحث مسائله ومشكلاته، ولا يعالج نظرياته، ولكن القرآن مع ذلك قد تعرض بصفة عامة لما فى هذا الكون من ظواهر ومشاهد ونواميس طبيعية واجتماعية، وأشار إلي الحياة والموت، وإلى الكواكب والنباتات ، وإلى السنن الكونية .... ومرت القرون وتقدمت العلوم والمعارف تقدما واسعا، ومع هذا لم يحدث تصادم بين آيات القرآن الثابتة منذ مئات السنين وبين مقرّرات العلم الحديثة، بل على العكس أبرز بعض المفكرين من العلماء المحدثين المطابقة الدقيقة بين آيات القرآن، وآخر ما أنتهى اليه العلم الحديث، ومن هؤلاء المرحوم الدكتور عبد العزيز إسماعيل أحد كبار الأطباء فى مصر الذى أثبت المطابقة الدقيقة بين آيات القرآن الكريم، وبين ما انتهت له أحدث البحوث فى علم الأجنة،

ومن النماذج الواضحة لذلك قوله تعالى «خلق الإنسان من علق» (سورة العلق ٢) فالعالم الإسلامى القديم كان لا يفهم من هذه الآيه إلا ظاهر اللفظ فكان يقول فى تفسيرها: العلق جمع علقة، أو يقول عنها الدم المتجمد، ثم ينتقل سريعا إلى غيرها من الآيات، ولكن عندما ظهر الميكروسكوفى العصر الحديث تبين

لنا أن هذا الماء الذى ينتقل من الذكر إلي الأنثى، والذى هو أصل الحياة البشرية ليس فى حقيقته إلا ملايين الملايين من الحيوانات المنوية الدقيقة التى تشبه العلق في شكلها، وهكذا ينجلى هذا السر الرائع الذى تنطوى عليه هذه الآية، والذى لم يظهره لنا إلا الكشوف العلمية الحديثة.

وشبيه بهذه الآية آية أخري لم يدرك الأقدمون معناها الحقيقى وكانوا يفسرونها تفسيرا مجملا، وهى قوله تعالى: «أرسلنا الرياح لواقح» (سورة الحجر ٢٢) فما كان البشر يعرفون من قبل أن النبات كائن حى كالإنسان والحيوان، وأنه يتألف من ذكر وأنثى، وأنه يتلاقح كما تتلاقح بقية الأحياء، وأن الرياح فى كثير من الأحيان هى واسطة هذا التلاقح

وهكذا تتضح لنا إشراقات جديدة كل يوم من آيات القرآن الكريم كلما استطاع العلم أن يصل إلى كنه ما يحويه، وهناك نماذج كثيرة من هذا اللون أوردها د. نبيل عبد السلام هارون في كتابه "كشف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة"

وكانت هناك علاقة وطيدة بين الإسلام والطب دفعت كثيرين من الباحثين فى الطب للربط بين القرآن الكريم وقضايا طبية على نمط ما فعل الدكتور

عبد العزيز اسماعيل، والعلاقة بين الإسلام والطب تَبْرُز فى مجالات كثيرة من أهمها مجال النظافة التى هى ضرورية طبيا واسلاميا فى الوضوء ونظافة البدن والملابس والمكان للصلاة وكذلك فى عدم مباشرة المرأة الحائض.

ومن آيات القرآنية المرتبطة بالطب قوله تعالى «والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة» (البقرة ٢٢٣).

وقد أثبتت الدراسات العلمية أن لبن الأم فيه مواد مضادة للتشوه الخلقى بما لا يوجد فى اللبن الصناعى.

ومن الآيات القرآنية التى تكلم عنها الأطباء قوله تعالى «وفى أنفسهم أفلا تبصرون» (الذاريات ٢٤) وتقول الدراسات الطبية إن فى جسم الإنسان حقائق كثيرة جديرة بالدراسة ومنهاالخصية التى تحتاج فى إفرازاتها إلى حرارة معينة بين حرارة الإنسان (٣٧ درجة) وحرارة الجو المختلفة، ولهذا عندما يبرد الجو تنكمش الخصية لتأخذ من حرارة الجسم ما يساعدها على إفراز المادة المطلوبة، ولكن فى الصيف تتدلى الخصية لتبعد عن الجسم، فحرارة الجسم أعلى مما تحتاجه الخصيتان لتأدية واجباتهما.

وربط الباحثون من الأطباء بين حبة البركة (الحبة السوداء) وبين تكوين المناعة فى جسم الإنسان وتنشيط هذه المناعة واتخذوا من أحاديث نبوية صحيحة مجالا للربط بين المصادر الإسلامية وبين فائدة هذه الحبة السوداء، فقد روى الإمام مسلم ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال: عليكم بهذه الحبة السواء فإن لكم فيها شفاء. (صحيح مسلم).

وهكذا كانت العلاقة بين المصادر الإسلامية وعلم الطب واضحة وقوية، ولكن ذلك فتح الباب لغير الطب من العلوم، فذهب كثير من الباحثين لتفسير آيات من القرآن الكريم لإثبات نظريات علمية حديثة قد يثبت خطؤها فى المستقبل، بل حدث صدام بين الباحثين فى هذه الموضوعات، وبين يدى كتابان لاثنين من الباحثين، كل منهما يسير فى طَرَفٍ، احد هما المرحوم الاستاذ عبد الرزاق نوفل فى كتابه «الإعجاز العددى للقرآن الكريم» وله رأى فى قوله تعالى «عليها تسعة عشر»[1].

وقد تصدى باحث آخر هو المستشار حسن ناجى لهذه الفكرة واعتبر الإعجاز العددى للقرآن فِرْية

(١) سورة المدثر الآية ٣٠

وخدعة بهائية ونشر كتابا فى ذلك عنوانه «تسعة عشر ملكا: بيان أن فرية الإعجاز العددى للقرآن خدعة بهائية.

ومن أجل هذا يميل أكثر المفكرين المسلمين إلى أنه لا ينبغى أن نحاول تفسير آيات القرآن الكريم لتثبيت نظرية علمية حديثة حتى لا نتراجع إذا ثبت خطأ هذه النظرية.

أما إذا أصبحت حقيقة ثابتة مثل كروية الأرض ودوَرانها، ففى هذه الحالة نورد من آيات القرآن الكريم ما يعزز هذا السبق.

وفى القرون الماضية وبعض عقود هذا القرن العشرين لم يكن الطب يستطيع معرفة نوع الجنين قبل الولادة، فكانت هذه هى النظرية الموجودة.

وذهب بعض المفسرين الى تفسير قوله تعالى «ويعلم ما فى الأرحام» (لقمان ٢٤) تبعا لهذه النظرية التى كانت آخر ما وصل له العلم، واعتبروا ذلك سبقا للقرآن الكريم وأنه إثباتُ أن الله وحده هو الذى يعلم نوع الجنين.

ثم ظهر «السونار» حيث أصبح من الممكن معرفة الجنين فى فترة معينة من فترات الحمل.

ولكن الآية الكريمة بقى لها حكمها ومعناها، فالمقصود أنه عندما يلتقى منّى الرجل ببويضة المرأة ويبدأ تكوين جنين حينئذ لا يعرف إلا الله نوعه، أما قدرة السونار فتبدأ متأخرة ولا تستطيع معرفة شئ فى الفترة الأولى.

وكان الامام محمد عبده قد فسر السموات السبع بالمنظومات السبع السيارة: عطارد وزهرة والأرض والمريخ والمشترى وزحل وأورانس، ولكن بعد وفاة الاستاذ الامام اكتشف علماء الفلك نيبتون وبلوتو، فأصبح تفسير الامام محمد عبده ليس دقيقا.

وهكذا نميل الى أن نترك النظريات العلمية الحديثة دون أن نربط بها آيات القرآن الكريم، فهذه النظريات يمكن أن تتغير أو تتراجع.

وبعد

وباستعراض هذه الأسئلة من صحيفة الأهرام الغراء وإجاباتها يتضح للباحث أن ما يسمى «الحضارة

الغربية » فى جانبها النظرى الأخلاقى أو الفلسفى حضارة ضحلة لا غناء فيها ولم يتفق عليها الفلاسفة الغربيون أنفسهم، بل قامت خلافات بينهم حولها، وفى حالات كثيرة تمرَّد بعض هؤلاء الفلاسفة عليها، وربما أعتنقوا الإسلام إثر هذا التمرد وعندنا نماذج كثيرة لهؤلاء فى التاريخ الوسيط والحديث.

أما الحضارة الغربية فى المجال المادى التجريبى فهى عالية المستوى للغاية وجديرة بكل تقدير، فقد استطاع العقل الغربى أن يبدع وأن يبتكر الكثير مما يسَّر حياة الإنسان، ولكن العقل الغربى كان يعمل بدون حدود وبدون قيم ومن هنا فإنه كما أبدع فى صنع أدوات التدمير ، فحقق نجاحا عظيما في مجال صنع السيارة والطائرة والدواء، نشط وأسْرف فى صنع الأسلحة الحديثة لأنها كانت أكثر رواجا، وكان العقل الغربى شديد الحرص على الربح الاقتصادى وانتهى أو نقول قرب من النهاية عندما أنتج القنبلة الذرية والهيدروجينية والصواريخ بأنواعها وأنتج منها المئات والالاف تلك التى فتكتْ بالملايين من الآبرياء الشيوخ والنساء والأطفال فى اليابان والعراق، وآثرها على كل إنتاج وترك الغربُ الكثيرين جياعا وأنفق المليارات على أدوات التدمير، ومن هنا أصبحت

هذه الحضارة مدمرة، تقتل وتبيد أو تترك العالم فى خوف وذعر من الإبادة التى صنعت هذه الحضارة وسائلَها.

والعلاج الذى نراه هو ضرورة أن تعيش الحضارة الإبداعية فى ظل القيم والاخلاق الدينية لتنتج ما يُسْعِد الإنسان ويعلى قدره، ومن هنا كان الحل فى تقديرى فى واحد من اثنين.

١ – أن تنتعش الأخلاق في العالم الغربى ويزدهر التدين ليعيش التقدم المادى فى ظل الأخلاق والقيم والأديان وهو شئ صعب المنال.

٢ – أن تعود اليقظة العلمية للشرق فيقتبس من الغرب ما حققه من تطور، ويزدهر التقدم المادى بذلك فى ظل الاسلام كما كان من قبل.

وليس ذلك صعبا فقد تنبأ بهGourge Sarton حيث قال: (١)

سبق للعرب أن قادوا العالم فى مرحلتين طويلتين من مراحل التقدم الإنسانى، استمرت الأولى طوال ألفى سنة على الأقل قبل أيام اليونان، وعاشت الثانية

(١) H istary of Sciances p.١١٦

طوال أربعة قرون تقريبا خلال العصور الوسطى، وليس ثمة ما يمنع هذه الشعوب أن تقود العالم مرة أخرى فى المستقبل القريب أو البعيد.

❖❖❖

الحضارة الإنسانية
بين التصوّر الدينى والنظريات الوضعية

سنتناول فى هذا البحث موضوعات مهمة هى:

أ - التوازن بين الفرد والمجتمع في ميدان الحريات والإدارة السياسية.
ب - ارتباط العلم بالقيم الروحية ليبقى العلم مصدراً لسعادة الإنسان وبناء الحضارة.
ج - ارتباط السياسة بالأخلاق والأحكام السماوية.
د - العدل الإجتماعى أساس بناء الحضارات.
هـ- العمل جوهر الفاعلية الحضارية.

وفيما يلى هذه الدراسة:

أ - التوزان بين الفرد والمجتمع فى ميدان الحريات والإدارة السياسية.

فى الحريات لابد من توازن بين حرية الفرد وحق المجتمع، بحيث لا يطغى فرد باسم الحرية على حقوق الآخرين، فحريةً شخص فى أبسط معانيها يجب ألا تكون على حساب شخص أو مضادةً لحريات الآخرين، فالموسيقى الصاخبة التي قد يميل لها شخص تعتبر عند الكثيرين مصدر قلق وإيذاء، ومكبرات الصوت التى يعشقها بعض المتحدثين أو شيوخ القراء تزعج الكثرين وتوذى المرضى والباحثين.

وفى مجال الإدارة السياسية لابد أن يوجد توازن بين الفرد والمجتمع، فالذى يتولى الإدارة لابد أن يكون أهلاً لهذا العمل الكبير، فيه كفاءة وإخلاص، وله خطة وهدف وآمال يسعى لتحقيقها لصالح المجتمع، ولا يكتمل التوازن بين أمل الفرد وسلامة المجتمع فى الميدان الإدارى إلا بكفاءة المدير وحسن التدبير.

وفى مجال السياسة ينبغى أن تسود الديمقراطية التى تعطى للفرد حقه وتحقّق للمجتمع أطماعه، فلابد أن يختار الشعب ممثليه بحرية مطلقة حتى يكتمل التوازن بين الفرد والحكومة، وحتى تصبح الحكومة ممثّلا حقيقيا للمجتمع، فالديكتاتوريه وحكم الفرد تتنافى مع حرية الإنسان ومع سلامة المجتمع، وقد آن الأوان لاختفاء هذه الديكتاتورية وبخاصة من العالم الاسلامى، الذى برزت فيه الشورى قبل أن تبرز فى أي مكان آخر.

وفى حديثنا عن الديمقراطية ينبغى أن نؤكد أن ما ندعو اليه هو الديمقراطية الحقه بدون زيف وبدون استعمال اللفظ وترك المدلول.

إن الديمقراطية ليست لغزاً، وهى الضمان الوحيد فى مجال السياسة لحقوق الفرد والمجتمع، وليدرك الذين يتشدقون بالديمقراطية ولا يعملون بها أن أوراقهم مكشوفة، وأنهم يسرقون حقا ليس لهم، وأن الناس يدركون أنانيتهم وينفرون منهم، وليت هؤلاء يسمعون لعمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى كان يقول:

إن للناس نَفْرةً من رؤسائهم وأعوذ بالله أن تدركنى هذه النفرة.

إن التوازن بين الفرد والمجتمع فى هذه الميادين يخلق نوعا من الانسجام يهيئ الطريق للخلاص والسلامة

ب - ارتباط العلم بالقيم الروحية كى يبقى العلم مصدرا لسعادة الإنسان وبناء الحضارة:

فى كثير من المواقع نما العلم بعيدا عن مراقبة القيم الروحية، فإذا بالعلم يصبح مصدر خطر على الجماعة الإنسانية، بل أيضا على العلماء الذين عاشوا فى مثل هذا الجو، حَدَثَ ذلك فى الاتحاد السوفيتى البائد، حيث حوربت الأديان والقيم الروحية، واتجه الاهتمام للعلم، واذا بالعلم يصبح داء وكان يرجى ان يكون شفاء للناس، وأنتج العلم أنواعاً من الدبابات والصواريخ وأدوات الدماروراحت هذه تدك العمران وتفتك

بالإنسان في تشيكوسلوفاكيا والمجر وتفرض سيطرتها الظالمة علي المغلوبين في أوربا الشرقية ، بل علي المغلوبين في الاتحاد السوفيتي نفسه

وقبل الاتحاد السوفيتى كان هناك هتلر حيث تطوَّر جانب العلم إلى درجة عظيمة وغابت القيم الروحية إلى آخر مدى، وكانت النتيجة سقوط ملايين القتلى من ألمانيا ومن الحلفاء ولم يكن ذلك إلا لأن العلم نما فى أرض ضعفت أو اختفت بها القيم الروحية.

والطريق السليم أن ننمىَ القيم الروحية لينمو العلم فى رحابها فيُنْتِج العقلُ البشرى ما يفيد الإنسانَ، وما يكون مصدرا لسعادته، وطريقاً لبناء الحضارة، وقد وضَّح القرآن الكريم الأساس السليم لذلك ، فحث على الفكر وعمق النظر، وأثنى على من يتَّبعون هذا المنهج الكريم، قال تعالى:

- أفــلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت...... (الغاشية١٧ - ٢٠)

- ان السمع والبصر والفؤادكل أولئك كان عن مسئولا.(الاسراء ٣٦)

ووضّح القــــرآن الكريم أن العلم بذلك ســــيكون خادماومعيناً للإنسان، وأن الانسان بهذا النهج سيرعي الله ويخشاه قال تعالي :-

- إنما يخشي اللهَ من عباده العلماءُ ...(فاطر٢٨)

أما إذا غابت القيم الروحية وعاش العلم وحده فإن ذلك يشبه سيارةً انطلقت بدون قيادة، أو حصاناً هأج واندفع دون كبح أو سيطرة، وتكون النتيجة تدميرا وإخلالا بالبناء الُحضارى وبالأهداف السامية، بل إن السيارة نفسها ستدمَّر والحصان نفسه سينهار.

ج- ارتباط السياسة بالأخلاق والأحكام السماوية:

السياسة هى قيادة المجتمع إلى ما يحقق له السعادةَ وضمانَ الأمن فى الداخل والخارج.

والتزام السياسة بالأخلاق الحميدة والأحكام السماوية، أساس لنجاح الفرد والمجتمع، وعندما تنحرف السياسة ينهار المجتمع وتضيع مكانته، يقول الإمام الماوردى:

السلطان إمام متبوع، وسيرته دين مشروع، فإن ظلم لم يعدل أحد، وإن عدل لم يجسر أحد على

الظُّلم(١).

وقال سفيان الثورى للخليفة أبى جعفر المنصور: إنى لأعلم رجلا واحدا إن صلَح صلَحت الأمه، فسأله الخليفة فى دهشةً: من هو؟ فأجاب: أنت(٢).

وقد ألف اليعقوبى رسالة عنوانها «مشاكلة الناس لزمانهم» وهو يقول فى مطلعها:-

فأما الخلفاء وملوك الإسلام فإن المسلمين فى كل عصر تَبَعٌ للخليفة يسلكون سبيله،، ويذهبون مذهبه، ويعملون ما يرونه منه، ولا يخرجون عن أخلاقه وأفعاله وأقواله (٣).

ثم سَرَدَ اليعقوبى أحوال الخلفاء المسلمين من أبى بكر إلى المعتضد،وبينً أن الناس اتبعوا الخليفة فى اتجاهاته المختلفة، وأن أخلاق الخلفاء انعكست على الناس، كلٌ فى عصره

(١) الاحكام السلطانية ص.١
(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد حـ، ص ٢١٧
(٣) مشاكلة الناس لزمانهم تحقيق محمد كمال الدين عز الدين ص ٢٠.

ويذكر ابن طباطبا (١)أن للمَلِك أمورا ترتبط به، منها أنه إذا أحب شيئا أحبه الناس، واذا أبغض شيئا أبغضه الناس، وإذا لهج بشئ لهج به الناس، إما طبعا وإما تطبُّعا، ولذلك قيل «الناس على دين ملوكهم».

وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يشير إلي ذلك عندما كتب إلى هرقل إمبراطور الروم قائلا: أسلِم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم كل مَنْ عندَك.

فالرسول يقرر أن إسلام هرقل سيدفع الإسلام لقومه فتكون له حسنتان حسنة لإسلامة وحسنه لإسلام قومه، وعصيان هرقل يجلب له ذنبين أحدهما بسبب عصيانه وكفره، والثانى لأنه تسبَّب فى كفر قومه.

ومن هنا تتضح لنا المسئولية الكبرى التى يتحملها الملك او الرئيس، فإن اتجاهاته وميوله وأخلاقه ستصبح اتجاهات و لاته و رجالات شعبه وستصبُغ ميولَهم وأخلاقَهم، فهو المسئول الأول عن كل ما يحدث بالبلاد لأن كل ما يحدث انعكاس لتصرفاته.

---

(١) الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٣١.

فارتباط السياسة بالأخلاق السامية والأحكام الإسلامية سيكون طريقا للخلاص وإسعادِ الفردِ والمجتمع.

وقد عرف العالم ضمن ما عرف سياسة عرجاء نُسبت لصاحبها «ماكيافيللى»(١٤٦٩-١٥٢٧) وقد ابتعد بسياسته عن القيم العليا وأحلَّ للحاكم اتخاذَ كلٍّ وسيلة تكفُل استمرار حكمه واستقرارَه،ولو كانت منافية للدين والأخلاق، وذلك على أساس أن الغاية تبرر الوسيلة.

وقد تعرض ماكيافيللى لهجوم عنيف من المصلحين عبر الأجيال، بل إن ماكيافيللى نفسه أدرك خطورة هذا الاتجاه وانحطاطَه فرجع عنه وأيد من جديد النظام الذى يرمى لسيادة الشعب وتطبيق العدالة والقيم السامية.

إن انحراف السياسة عن الاخلاق السامية والاحكام السماوية سيجرُّ المجتمع إلى هوةٍ عميقة يتردى فيها الحاكم والمحكوم جميعا.

د- العدل الاجتماعي أساس لبناء الحضارات:

العدل الاجتماعى هو من أهم طرق الخلاص التى تقضى على كبرى المشكلات التى تعانيها البشرية، ولا يمكن لمجتمع أن يحقق سعادته وفيه جائع محتاج، وغنًى مترف، ففى مثل هذه الحال سينتشر الحقد والكراهية، بل السرقة والقتل، وسيكون المجتمع فى الحقيقة مجتمعين يتربص كل منهما بالآخر، وفى مثل هذا الجو، تنهار الحضارات.

فالحضارة تأخذ أساسها من تكاتف القوى، فصاحب المال يقترح المشروع ويخطط له ويرصد التكاليف اللازمة لتنفيذه، ثم يجئ دور العامل الذى يبرز المشروع للنور بجهده وعرقه ولابد أن يكون الإخلاص أبرز صفات الجماعتين، ولا نستطيع أن نحصل على هذا الإخلاص مع غيبة العدل الاجتماعى، والغِنَى والفقرُ عدوَّان لا يبنيان حضارة ولا يحققان رقيا، إلا اذا تعاون الغَنِىُّ بماله والفقيرُ بجهده وهكذا تزدهر الحضارة عندما يسود العدل الاجتماعى.

ومن الواضح فى الدراسات الإسلامية أن هدف

التفكير الإسلامي من نظامه الاقتصادى هو تحقيق العدالة الاجتماعية، والعدالة الاجتماعية يراها الإسلام هدفا ويراها وسيلة، يراها هدفا، لأن المجتمع الذى يُبْنَى على أساس سليم يلزم ان تتوافر العدالة الاجتماعية بين أفراده، ولا يمكن أن يكون المجتمع سليما إذا استبد به الأغنياء، أو كان فى مقدورهم حرمانُ الفقراء، أو اذا تفاوتت الطبقات فيه تفاوتا ملحوظا فظهر فيه الفقير المحروم بجانب الغنى المترف.

والعدالة الاجتماعية أيضا وسيلة للحب والتعاون اللذين يجب أن ينعم بهما كل مجتمع سليم.

والنظام الاقتصادى فى الاسلام يقضى على الفقر الذى قَرَنَه الرسول بالكفر عندما كان يقول: أعوذ بالله من الكفر والفقر.

(النسائي :باب الجهاد)

ثم إن الاستقرار الاقتصادى والرخاء المادى يخلقان غالبا السلوك الطيب والخلق الحميد، والتقدم الحضارى وقلمانجد انحرافا خلقيا ليس ناشئا عن عُسْرٍ اقتصادى وحاجةٍ مالية، وقلما نجد حضارة ذات بال لدى المحتاجين أو الجياع أو العراة.

وقد أكد الإسلام ضرورة العدل الاجتماعى فلم

يجعل ملكية المال مطلقة، وانما ألزم صاحب المال أن يستعمله لا أن يكنزه، وحرّم عليه أن يستعمله فى رشوة أو أن يسرف فى استعماله، أو أن يحتكر السلع لانتهاز فرص الغلاء كما ألزمه أن يقدم جزءا منه للمحتاج وكل ذلك للسعى لتحقيق العدل الاجتماعى.وبالتالي لبناء الحضارات التي لا ترتفع إلا علي العدل الاجتماعي

هـ- العمل جوهر الفاعلية الحضارية.

لا يمكن أن تزدهر حضارة بدون عمل وجهد، فالعمل الناجح هو أساس التقدم الحضارى، وقد امتدح القرآن الكريم جهد العامل وجعله فى مستوى المحارب فى سبيل الله، قال تعالى:«وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله»(سورة الزمل الآية ٢٠)

والعالَم الاسلامى-للأسف- يمرُّ بمرحلةِ كَسَل حيث تقل الرغبة فى العمل من جانب وفى إجادته من جانب آخر،وذلك شئ يتنافى مع الإسلام ولا يساعد على قيام حضارة ولا يمكن أن يدعى المسلمُ السَّيْرَ فى نطاق الإسلام وهو قليل الإقبال على العمل أو قليل الحرص على إجادته.

وإذا ضعف العمل حل الفقر و لا يمكن أن تزدهر حضارة فى جو يخيم فيه الفقر والعوز، فأسمى أمانى الجائع أن يحصل على لقمة العيش لا أن يحقق حضارة أو رقيا، والفقر يجلب العبودية والخضوع، فالدولة الفقيرة تحنى رأسها للدولة التى تُمدِّها بالطعام والحاجات الضرورية، أما العمل والكدح فإنه يجلب الحرية، والحرية هى المفتاح السحرى للحضارة والتقدم.

واذا عدنا الى القرآن الكريم الذى يقدسه المسلمون نجد فيه آيات كريمة تحث على العمل وتوضح أنه طريق التقدم والرقى وأنه نوع من أنواع العبادة قال تعالى: «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون»(التوبة١٠٥).

فليس يكفى أن تقنع بالخير، بل لابد ان تعمل لتجلب الخير، والله مطلع على عملك وسيجازيك عليه، وتوضح هذه الآيةالكريمة ان العمل مراقَب من الله سبحانه وتعالى ومن الرسول ومن المؤمنين، وبقدر إجادة العمل يكون العقاب والثواب من الله جل وعلا.

وقد قسم الله سبحانه وتعالى اليوم قسمين جعل

قسما للراحة والسكون، وقسما للكدح والعمل، قال تعالى:«وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا »(النبأ ١٠-١١).

ومعنى هذا أن الإنسان كما ينام الليل ويستريح فإن عليه أن يجعل النهار فترة كدح وجهد وعمل.

ويقول تعالى آية كريمة مرتبطة بالعمل هي قوله تعالى:«وألَنّا له الحديد أن أعمل سابغاتٍ وقدِّرْ في السرد » (سبأ ١١).

وفي هذه الآية يأمر الله نبيه داود أن يعمل سابغات أى أن يقوم بعمل الدروع التى تحيط بالجسم وتحميه من الطعنات، ويأمره بالدقة فى العمل والتقدير، بقوله «وقدّر فى السرد» اى اجعلها دقيقة النسيج متناسبة الحلقات والارتباطات.

واذا كان الله أمر النبى بهذه الدقة فكيف يكون الحال مع البشر من غير الأنبياء؟ إنهم أولى أن يتعظوا وأن يبذلوا غاية الجهد فى إتقان العمل.

ونجئ لآية أخرى هى قوله تعالى:«والذين هم

لأماناتهم وعهدهم راعون (١)، فنذكر أن هذه الآية شديدة الأهمية بالنسبة للعاملين فى كل مجال، وعلى كل إنسان أن يتدبرها وأن يعرف مسئولياته بناء عليها، فالآية تقرر أن العمل على الآلات فى المصانع يجعل الآلات أمانةً فى عنق العامل، والعمل فى التدريس يجعل التلاميذ والطلاب أمانة فى عنق المعلم، والمريض فى أيدى الطبيب أمانة، ومثل هذا يقال عن كل عمل علمى أو إدارى أو فنى، ثم إن العمل عهد بين الإنسان وبين الدولة أو الهيئة التى تعاقدت معه على هذا العمل، وكل هذا يدخل- كما قال المفسرون- فى نطاق قوله تعالى«والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » وكل مَنْ وفَّى بهذه الأمانات وتلك العهود...يكون - كما ذكرت الآيات التالية- من الوارثين الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون.

أما من لم يوف بالأمانات والعهود فهو خائن وعليه حساب الخائنين.

وقد سبق أن ذكرنا أن العمل فى الإسلام عبادة، ولإيضاح ذلك، ولأهمية العمل فى الإسلام نسوق بعض

---
(١) سورة المؤمنون الآية الثامنة

احاديث الرسول فى هذا المجال.

يقول صلى الله عليه وسلم: ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها صوم ولا صلاة وانما يكفرها السعى لطلب الرزق.

(الجامع الصغير)

وروى ان الرسول كان جالسا يوما مع أصحابه، فرأوا شابا ذا جلد وقوة قد بكّر يسعى للعمل، فقال أحد الجالسين: ويح هذا، ليت شبابه وقوته كانت فى سبيل الله.

فقال الرسول : لا تقولوا هذا، فإنه إن كان يسعى علي نفسه ليكفّها عن السؤال ويغنيها عنْ الناس فهو في سبيل الله، وان كان يسعي علي أبوين ضعيفين او ذرية ضعاف ليغنيَهم ويكفيَهم فهو فى سبيل الله.

(مسند احمد)

ويروى كذلك أن قوما كانوا عند الرسول

فقالوا : إن فلانا يصوم النهار، ويقوم الليل ويكثر الذكر، وكان فى كلامهم إعجاب بالرجل

فقال الرسول : ومن منكم يكفى طعامه وشرابه؟

فقالوا : كلنا .

قال عليه الصلاة و السلام : كلكم خيرٌ منه.
(مسند أحمد)

وفى إحدى الأزمات العسكرية وفد على الرسول شاب يريد أن يلتحق بالجيش، ويبدو أن الرسول كان يعرف شيئا عن أبويه، فسأله الرسول عنهما فقال الشاب: إنهما شيخان ضعيفان فقال له الرسول: اذهب ففيهما جاهد، فالعمل لقضاء حاجة الأبوين نوع من الجهاد.
(البخاري :باب الجهاد)

وكانت هناك شعوب إسلامية متخلفة فى جنوب شرقي أسيا، ولكن صيحة نشاط دبَّت فى هذه الشعوب فاتجهت للعمل بجهد متصل وعملت على الإجادة فيه، فأصبحت تنافس الدول الكبرى، وتسمى فى مجال الاقتصاد: دول «النمور»

تحيةً لشعب إندونيسيا وشعب ماليزيا ولْيحرص الجميع على الوصول لهذه الغاية، فالعمل وإجادته يمثلان جوهر الفاعلية، والحضارة ولا وجود للحضارة

فى بلاد يسيطر عليها الكسل الجسمانى والذهنى.

ونحن فى حياتنانحتاج بالتأكيد إلى استيراد بعض ما تنتجه الدول الأخرى من أشياء تتصل بالطعام والكساء أو المواصلات أو السلاح، فمن أين نسددٌ أثمان هذه السلع التى نستوردها؟

إن التسديد يكون بالاستدانة أحيانا، والدَّيْن ذل فى النهار وأرق فى الليل، ورسولنا صلى الله عليه وسلم كان يقول: أعوذ بالله من الكفر والفقر والدَّيْنِ، فقال رجل للرسول: أتعدل الكفر بالدَّيْنِ يا رسولَ الله؟ فأجاب : نعم

(صحيح مسلم)

ثم لا يمكن أن تستقيم أمور مجتمع يعتمد على الاستدانة، فهو بذلك يتعرض لطاعة الدائن واستعباده من جانب، وإلى التوقف عن تقديم العون من جانب آخر.

ان الطريق السليم أن نعمل وأن ننتج لنصدٌر ما يغطى حاجاتنا من الاستيراد وبذلك تكون الحياة أخذا وعطاء مما يكفُل السلامة للفرد والجماعة.

وبعد

لقد طغت الكنيسة في العصور الوسطى طغيانا عظيما وابتكرت وسائل للسيطرة على الإنسان، وألزمت المسيحيين أن يطيعوا آباء الكنيسة كما أطاع عيسى أباه، وقررت ضرورة إطاعة الآباء الروحانيين والا يباشر أحدٌ شأنا من شئون الكنيسة كالتعميد والزواج وحضور الوفاة فذلك حق الأسقف وحده، ويُعَدُّ حضوره حضورا للمسيح(١).

وخطت الكنيسة خطوة أخرى فقررت أن أمر المسيحيين في يد البابا، وعلي الناس أن يتلقوا قوله بالقبول وافق العقل أو خالفه، وعلى المسيحي إذا لم يستسغ عقلُه قولاً قالته الكنيسة أو مبدأ دينيا أعلنته أن يروِّض عقله على قبوله، فإن لم يستطع فعليه أن يشك في العقل ولا يشك في قول البابا.

وقالت الكنيسة بحَقِّ البابا فى الحرمان أوغفران الذنوب وأطلقت بذلك صكوك الغفران، وحدثت أحداث مخجلة يندى لها الجبين فيما يسمي « الاعتراف امام

(١) pengndjaron Geradjn katalik p300.

القسيس »وقد نشرت المجلة المسيحية «رسالة الحياة» صورا من تلك الانحرافات (٢)مما لا نستطيع ذكره هنا

وأعلنت الكنيسة أن ما يخالف رأيها يعتبر هرطقة، وحاربت الكنيسة الهرطقة دون هوادة فاستعملت الحرق والقتل ومحاكم التفتيش فأحرق يوحنا هوس وجيروم وأُحرقت كتب ابيلارد وسُجن حتى الوفاة، وأحرق ميجيل سيرفتوس الأسبانى لأنه قال انه اكتشف الدورة الدموية الصغري التّى اكتشفها قبله ابن النفيس العالِم المسلم بفترة طويلة. كما ذكرنا من قبل

وكان رجال الدين مخلصين كل الإخلاص للمعجزات والخوارق فاتخذوا جانبها وراحوا يحاربون العلوم لأنها تتنافى مع الخوارق التى جاءت على أيدى الأنبياء وكان ذلك مما دفع بعض الأحرار للمقاومة وفى مقدمتهم «لوثر» الذي كان عالما باللاهوت، ومدركا للخرافات الجديدة التى ابتدعتها الكنيسة.

وتغلب العلماء والمفكرون بعد القرن السادس عشر

---

(٢) رسالة الحياة: السنه الاولى - العدد الثانى عشر ص ٦ والسنة الثانية العدد الثانى ص ٢٥

على انحرافات الكنيسة وانطلق العلم من عقاله، ولكن بدون إشراف من عقل أو دين أو قيم، فأنتج ما ينفع الناس وما يدمّر الناس.

وهكذا انتقلت الكارثة من ميدان إلى ميدان، من سطوة الكنيسة وخرافاتها الى انطلاقة العقل بدون حدود وبدون رقيب، فانتقلت البشرية من عناء إل عناء.

وقبل ذلك كان العالم قد شهد اتجاهات حضارية رفيعة المستوي كانت قد برزت في ضوء الإسلام في الأندلس وصقلية وفى مصر والشام، وكانت حضارةً بنّاءة فيها أشعة من السماء تقدِّم ما عجز العقل عن الوصول إليه كالشورى فى النظام السياسى، والعدالة، الاجتماعية فى الاقتصاد، وتقدم نظاما رائعا للميراث والأسرة والمجتمع، وتقدم كذلك نتائج العقل الحر الذى يعمل فى رقابة الضمير والدّينِ فوصل فى الطب والرياضة والعلوم......إلى مدى عظيم وكان هناك توائم بين العقل والعلم، فما أبرزه العلم كان لا يتنافى على الإطلاق مع الشرع والقيم السماوية.

وقد اقتبس الغرب من المسلمين الكثير من

انجازاتهم كما يعلن ذلك بالكثير من التقدير عدد من المفكرين الغربيين الذين أوردنا كلماتهم في البحوث السابقة

وكان نشاط المسلمين وحضارتهم تعيش فى رحاب الدين والقيم السماوية فنجحت هذه الحضارة وقدمت للمجتمع ما يساعده ويرضيه، ولكن هذا النشاط توقف للأسف لعوامل كثيرة منها الاستعمار والصهيونية والفُرقة الداخلية.

أما النشاط الغربى فكان كما قلنا طليقا لا يحكمه دين ولا قيم فجاء بالشر والخير جميعا، ويبدوأن شره أخطر وأعظم.

وأمل البشرية أن نعيد للشرق الإسلامى نشاطه لتستأنف الحضارة نشاطها فى ظل القيم الدينية والأهداف السماوية، او أن يلهم الله الغرب الصواب لتنتعش به الجوانب الخلقية والدينية ويكون لها أثرها على الإبداع الغربى.

وينبغي أن نقرر أن غيبة الفكر الدينى عن الإبداع لن تكون شديدة الضرر بالإبداع فقط، بل ستكون

شديدة الضرر بالإنسان نفسه لأنها ستزرع فيه نزعات الأنانية، والأثرة ما دام الوجود كله يسير فى طريق الزوال دون حساب ولا ميزان، وذلك خلل فى تركيبة الحياة لا يَرضى به العقلاء

وبالله التوفيق.

الحضارة الإسلامية والفنون

الشعر - الموسيقى والغناء - الرقص - التصوير والنحت والتجسيم - العمارة والزخرفة - التمثيل واعتزال الفنانات !!

دراسة هذا الموضوع تحتاج إلى صبر وتؤدة، فالناس ينقسمون تجاهه قسمين : قسم يميل للتشديد فيحرّم كل نوع من أنواع الفنون تقريبا معتمدا على تدهور أخلاقي في بعضها كالرقص الذى عندما يطلق يخطر بالذهن الرقص الغربي، الذى يحتضن فيه فتى فتاةً ويغيبان فى جو من الهيام والغرام، أو الرقص الشرقى المثير، وكالغناء الذي كثيرا ما تقوم به فتاة أقرب إلى المجون فى ملابسها وحركاتها، وكثير ما يصحب الغناء شرابٌ محرّم.

أما القسم الثانى فيدرس الأمور بتؤده، فيحرم ما حرمه الله وما يتنافى مع القيم والأخلاق، ويبيح الفنون التي لا تمس القيم والأخلاق، وهذا هو النسق الذي نسير عليه.

وكلمة الفن لها استعمال واسع، وذلك كالحديث عن فن التربية وفن الحرب، ولكنا نقصد هنا الفنون التي يقوم بها الإنسان ليستثير عاطفة الجمال، وهذه الفنون تشمل الشعر والغناء والموسيقى والتصوير والنحت والتجسيم والرقص والعمارة والزخرفة.والتمثيل

القرآن الكريم والشعر :

وقد تكلم القرآن الكريم عن فن من هذه الفنون وهو الشعر، ونحن فى كلامنا عن الفنون نسير على النمط الذى شرحناه متخذين القرآن الكريم لنا قدوة في هذا المنهج، فقد تحدث القرآن الكريم عن الشعر فهاجمه أشد هجوم قال تعالى «والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم فى كل وادٍ يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون» (الشعراء ٢٢٤-٢٢٦).

وهذا هجوم واضح وشديد علي الشعراء الذين يتحقق فيهم هذا الوصف، وهو أنهم يتبعهم الغاوون الذين يرددون شعر هؤلاء الشعراء، والذين يخوضون فى المدح والهجاء طلبا للمال وعدوانا على الناس، وأنهم يقولون مالا يفعلون.

ولا شك أن الشعراء من هذا النوع جديرون بالذم والهجوم من القرآن الكريم الذى يعلّمنا مكارم الأخلاق،

ثم جاء الاستثناء فى الآية التالية، وهو أن الحكم السابق لا ينطبق على الشعراء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا أى ردُّواالهجاء الباطل بهجاء حق.

وفى هذا المجال نذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم شجَّع حسان بن ثابت على الدفاع عن المؤمنين بشعره كما يدافع الجندي بسلاحه، وسمع في المسجد زهير بن أبى سلمى فى قصيدته«بانت سعاد» الذى ابتدأها بغزل وتشبيب

والخلاصة أن الفن قد ينحرف فيُذَم، وقد يعتدل فيقبل، وعلى هذا يمكن أن ننظر لأىّ فن من هذه الفنون نظرتنا للشعر ولحكم الله جل وعلا فيه فنقبل مالا يضر الانسان دينيا واجتماعيا ونرفض ما يكون فيه ضرر.

رأى الإسلام فى الموسيقى والغناء :

الموسيقى والغناء من أشهر أنواع ألفنون، ويبدو

من المطالعات التى سنعرض لها، أن الغناء والموسيقى فى ذاتهما شئ مباح بل يحسن فى بعض المواقف، فالموسيقى تُنْدَب لإثارة حماسة الجند فى الزحف للحرب والجهاد، ويَحْسُنٍ مع الموسيقى فى هذا المقام بعض الأناشيد الحماسية التى يُتَغَنَّى بها لتدفع الجندى للذود عن الدين والوطن وتذكِّره بأمجاد أسلافة، وتحسُن الموسيقى والغناء كذلك للحجيج على أن تكون بأشعار تثير الرغبة فى الحج، وتصف من الكعبة والمقام ما يجعل المسلم يستسهل الصعب، ويعمل لينضم لموكب الحجاج، وتحسن الموسيقى والغناء كذلك فى أوقات السرور تأكيدا للسرور وتهييجا له، ما دام هذا السرور مباحا كأنْ يكون فى عيد أو فى عرس أو لدى قدوم غائب، وفى وقت الوليمة والعقيقة، وعند ولادة المولود وعند ختانه وعند حفظه القرآن الكريم، وسنرى ان الرسول حث على استعمال الموسيقى والغناء أو أقر استعمالهما فى هذه الحالات فقد رُوِى أن أبن الأنصار قالوا: لقد رخّص لنا الرسول باللهو عند العرس (النسائى باب النكاح)

بيد أنا نجد ألوانا من الانحرافات اتصلت بالموسيقى والغناء، فكثيرا ما اشتغل بها فتيات أو فتيان عرف عنهم البعد عن الاستقامة وعن الخلق

الطيب، وفى التاريخ كثر المخنثون الذين كانوا يعملون فى الموسيقى والغناء، وفى مجالس الموسيقى والغناء كثر الخمر وبالتالى كثر الانحلال، وكثيرا ما كانت الأغنية تثير الغرائز وتنحط بالعواطف بدل ان تسمو بها، وكثيرا ما كان الأداء نفسه يحرك الغرائز الدنيا، وطالما انشغل هواةُ الموسيقى والغناء بذلك وأهملوا واجباتهم الدينية والاجتماعية، وصبُّوا فى الموسيقى والغناء كل حياتهم.

وهكذا تأثر الباحثون فى الموسيقى وبالغناء بهذه المظاهر التى طرأت على الموسيقى والغناء، فمال الكثيرون من الباحثين إلى تحريمها والحث على البعد عنهما، ولكننا نريد أن ندرس الموسيقى والغناء دراسة موضوعية، نُحِلُّ منها ما أحله الله، ونحرم منها ما انحرف واستلزم التحريم، ومن الأبحاث المهمة فى ذلك الموضوع ما دونه الإمام الغزالى، ومنه نقتبس بعض فقرات:-

الامام الغزالى والسماع:

يقدِّم الإمام الغزالى حديثا علميا يثبت فيه أن السماع للغناء والموسيقى حلال، وهو فى ذلك يقول:

- والقول بأن السماع حرام معناه أن الله يعاقب

عليـه، وهذا أمـر لا يعـرف بمجـرد العـقل بل بـالنص، فمعرفة الشرعيات محصورة فى النص أو القياس على النصوص، ولم يستقم فى هذا المجال نص ولا قـياس، وبهذا يبطل القول بتحريمه، ويبقى فعلا لا حرج فيه كسائر المباحات، بل إن هناك نصوصا تدلّ علي إباحته، فالغناء سماع صوت طيب مفهوم المعنى محرك للقلب، وسماع الصوت الطيب بالنسبةَ لحاسة السمعً كرؤية الخضرة والماء الجارى بالنسبة للعين فلا يحرم، فإن أدَّى النظر إلى الاطلاع على شئ حرام، حَرُم النظر، كالنظر إلى العورة أو النظر بشهوة، وكذلك يحرم السماع إن كان سماعا لشئ غير حلال أو أدَّىَ بطريق انحرف به عن الحلال.

– وعن أنس أن النبى صلى الله عليـه وسلم كـان يُحْدَى له فى السفر، ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابه، والحداء أشعار تؤدى بأصوات طيبة وألحانٍ موزونه، ولم ينقل عن أحد من الصحابه إنكار ذلك.

– وتاثير الغناء فى القلب سر صنعه الله وأودعه الأصوات، فجعل منها ما يُفْرِح ومنها ما يُبْكِى ومنها ما ينوِّم ومنها ما يُضْحِك، والصَبى يسكته الصَوت

الطيب عن البكاء والجمل يتأثر بالحداء فيستخف الأحمال الثقيلة ويستقصر المسافات الطويلة، ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية، وقد قيل: من لم يحركه الربيع وأزهاره، والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ، ليس له علاج.

- ومن النصوص التى تدل على إباحة الموسيقى والغناء إنشاد نساء المدينة بالدف والألحان عند قدوم الرسول إلى المدينة:

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع

فإظهار السرور لقدومه عليه السلام بالشعر والنغمات والرقص والحركات محمود، وقد نُقل عن جماعة من الصحابه رضي الله عنهم أنهم حجلوا فى سرور أصابهم، وذلك نوع من الرقص جائز فى قدوم كل قادم يجوز الفرح به، وفي كل سبب مباح من أسباب السرور، ومن النصوص كذلك ما رواه البخارى ومسلم من أن أبا بكر دخل بيت الرسول فوجد به جاريتين تغنيان، فقال : أمزامير الشيطان في بيت الرسول؟ فقال الرسول لأبى بكر يا أبا بكر دعهما فإن لكل قوم

عيدا وهذا عيدنا. (البخارى: باب "العيدان")

أبو بكر البغدادي والسماع:

ويقرر الحافظ أبو بكر البغدادي في مؤلفه عن السماع أن من تمسك بتسمية أبى بكر للغناء بمزمار الشيطان قد أخطأ وأساء الفهم من عدة وجوه: منها تمسكه بقول أبى بكر مع أن النبى صلى الله عليه وسلم ردَّ هذا القول.

ومنها رجوع أبى بكر إلى إشارة المصطفى

ومنها إعراض هذا القائل عن إقراره صلى الله عليه وسلم واستماعه الذى لا احتمال فى أنه يقتضى الحل، ومحال ان يعتقد أبو بكر تحريم أمر حضره المصطفى وأقرَّ عليه، مع علم الصديق أنه عليه السلام لا يقرُّ على باطل، والصحيح أن يُفَهْم من قول أبى بكر ما يليق به وهو أنه رأى ضرب الدف وإنشاد الشعر لعباً من جملة المباح الذى ليس فيه عبادة فخشي باطنُه الكريم من تعظيم حضرة النبوة واحترام منصب الرسالة وشدة الاحتشام، ما حمله على تنزيه حضرته عليه السلام عن صورة اللعب،ورأى أن الاشتغال بالذكر والعبادة فى ذلك الموطن الكريم أولى، فزجر عنه احتراما لا تحريما، فرد عليه النبى صلى الله عليه وسلم إنكاره لأمرين

أحدهما أن لا يُعْتَقَد تحريمُ ما أُبيح فى الشرع توسعه لأمته ورفقا بها وتفسحا فى بعض الأوقات،

والثانى إظهار الشارع مكارم الأخلاق وسعة الصدر لأهله وأمته فتستريح قلوبهم ببعض المباح فيكون أنشط لهم فى العود إلي وظائف العبادة(١)

عودة إلى كلام الغزالى:

ولنعد إلى كلام الغزالى الذي يقرر أن من النصوص التى تبيح الموسيقى والغناء ما رواه ابن العباس قال: زوَّجتْ عائشةُ ذاتَ قرابة لها فى الأنصار، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أهديتم إلى فتاة؟ قالوا : نعم، قال: أرسلتم معها من يغنى؟ قالت عائشة: لا، فقال الرسول : إن الأنصار قوم فيهم غزل فلو بعثتم معها من يقول :

أتيناكم أتيناكم   فحيّونا نحيِّيكم

(رواه مسلم)

وعن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم مرَّ ببعض نواحى المدينة فإذا هو ببعض الجواري يضربن بدفهن ويتغنين:

نحن جوار من بنى النجار   يا حبذا محمد من جار

(١) الإمام الغزالى: كتاب الإحياء: باب السماع

فقال صلى الله عليه وسلم: «الله يعلم أنى لأحبكن»

(النسائى)

وأخرج الترمذى قوله عليه السلام: أعلنوا هذا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدفوف.

ويعلق الشوكانى على ذلك بقوله: وفى هذا دليل على أنه يجوز في النكاح ضرب الأدفاف ورفع الصوت بشئ من الكلام على ألا تكون أغانى تهيج الشرور لاشتمالها على وصف الجَمال والفجور ومعاقرة الخمور، فإن ذلك يحرم فى النكاح وفى غيره .

متى يحرم الغناء؟

ويحدد الغزالي الأسباب التى تحرِّم الموسيقى والغناء، فيجعلها أسبابا طارئة كأن يكون الغناء من امرأة تخشى الفتنة من سماعها، أو من صبى أمرد كذلك، أو أن تستعمل فى الموسيقى آلات من شعار أهل الشرب المخنثين، أو أن يكون الكلام الذى يُغنّي فيه فحشٌ ولغو، أو أن السامع يثير الغناءُ شهوتَه، ويحرك ثائرته، أو أن يتخذ الموسيقى والغناء ديدنا فتسبب المواظبة عليهما التقصير في أداء الواجب الدينى

وأداء واجب الأسرة والمجتمع.

ذلك موجز البحث الطويل الذى أورده الامام الغزالى، وندعه الآن لنقتبس اتجاهات غيره من الباحثين، وقد أبانت كتب الفقه أن التغنى من حيث كونه ترديد الصوت بالألحان مباح لا شئ فيه، ولكن قد يعرض له ما يجعله حراما أو مكروها ومثله الموسيقى، فيمتنع إذا ترتب عليه فتنة كما يمتنع إذا ترتب عليه حرام كشرب الخمر، أو تضييع الوقت، وانصراف عن أداء الواجبات، أما إذا لم يترتب عليه شئ من ذلك، فإنه يكون مباحا.

ويقرر أكثر الباحثين أن ما ورد من أحاديث منسوبة للرسول في تحريم الغناء أو الموسيقى كلها مثخنة بالجراح، لم يسلم منها حديث من طعن عند فقهاء الحديث وعلمائه، **قال القاضى أبو بكر بن العربى: لم يصح فى تحريم الغناء شئ وقد تصدّى ابن حزم للأحاديث التى رويت فى تحريم الغناء وبيّن أن رُواتها بين مجهول ومدلّس وضعيف وقرر أن بيع المزامير والعيدان والمعازف والطنابير حلال كله، ومن كسر شيئا منها ضمنه.**

الإمام القشيرى والسماع :

وقد كتب الامام القشيرى [1]بابا عن السماع نقتبس منه بعض العبارات، يقول الإمام القشيرى : واعلم ان سماع الأشعار بالألحان الطيبة، والنغم المستلذة، إذا لم يعتقد المستمع محظورا، ولم يسمع على مذموم فى الشرع، ولم ينجرٌ فى زمام هواه، ولم ينخرط فى سلك لهوه، مباح فى الجملة، وإن حسن الصوت مما أنعم الله تعالى به على بعض الناس قال عز وجل«يزيد فى الخلق ما يشاء[2]» وقيل فى التفسير إن من هذه الزيادات الصوت الحسن، وذم سبحانه وتعالى الصوت القبيح فقال : إن أنكر الأصوات لصوت الحمير[3]، واستلذاذ القلوب واشتياقها إلى الأصوات الطيبة واستروا حها إليها، مما لا يمكن جحوده فإن الطفل يسكن إلى الصوت الطيب، والجمل يقاسى تعب ومشقة الحمولة فيهون عليه ذلك بالحداء،

وحكى عن الشافعى أنه مر مع أحد رفاقه بموضع

---

(١) الرسالة القشيرية

(٢) سورة فاطر الاية الأولى

(٣) سورة نعمان الآية ١٩

فيه شخص يغنى، فلما سمعه الشافعى قال لرفيقه: مِلْ بنا إليه، وسأل الشافعيُّ رفيقَه: أيطربك هذا؟ فقال: لا فقال الشافعى: إذن ليس لك حس.

الامام الشوكانى والسماع :

ونقل الشوكانى أراء كثيرة عن الصحابة والتابعين فى إباحة الأعواد والغناء مالم ينحرف بها اتجاه من الاتجاهات الكريهة.

الامام شلتوت شيخ الأزهر السابق والسماع :

وقد أورد الإمام شلتوت تلخيصا لرسالة كتبها الفقيه عبد الغنى النابلسي وهى تقرر أن السماع حلال مالم يقترن بمحرم. وعقَّب الإمام شلتوت على ذلك بقوله: إن هذا يوافق تماما فى المغزى والنتيجة الأصل الذى قررناه فى موقف الشريعة بالنسبة للغناء والموسيقى، وعلى هذا فسماع الآلات أو الأصوات الجميلة لا يمكن أن يحرَّم باعتباره صوت آلة أو صوت إنسان وإنما يحرم إذا استعين به على محرم أو اتُّخذ

وسيلة إلى محرم أو ألهى عن واجب(١).

وأرى أن الصوت الحسن منحةٌ من الله، والله لا يمنح شيئا محرما، انه كالذكاء والصحة تحرم لو استعمل الذكاء فيما يضر الناس أو استعملت الصحة في العدوان على الأبرياء، وكذلك يحرم الصوت الحسن اذا ارتبط بشهوة أو شراب أو شَغَلَ عن أداء واجب وفيما عدا ذلك فهو حلال طيب.

الحافظ القيسراني المحدِّث والسماع:

وبين يديَّ كتابٌ مهم عنوانه «السماع» وهو من تأليف الحافظ ابن القيسراني المتوفى سنة ٥٠٧هـ وقد حقّقه فضيله الشيخ أبو الوفا المراغي ونشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ويقول المحقق في تصدير الكتاب:

قد وُضعت في موضوع السماع بعض الكتب والرسائل، وأورد ابن عبد ربه عنه فصلا ضافيا في «العقد الفريد»، وكذلك الغزالي في «الإحياء» وابن خلدون في « المقدمة » والنويري في «نهاية الأرب» كما جاء عنه شذرات متفرقة في كتب الفقه والتفسير والتاريخ، (وكل هذه الكتب تجيز السماع إلا إذا طرأ

على الغناء والموسيقى محرَّم كما سبق القول)

ويستمر محقق كتاب السماع فيقول: ومن الكتب النادرة التى ألفت كلها فى هذا الموضوع كتاب« السماع» لابن القيسرانى أحد أئمة الحديث فى القرن السادس، وقد قصره على مقدمة فى الغناء، ثم على فصل فى جواز الاستماع إليه، وفصل آخر للرد على القائلين بحظره، معتمدا فى ذلك على الأحاديث الصحيحة الواردة فى كتب الصحاح وعلى أقوال الأئمة والفقهاء، وناقش مخالفيه فى أسلوب علمى دقيق ونهج مستقيم ويذكر المؤلف أن حديثه عن(السماع) هو بيان حكم السماع بأنواعه سواء كان سماع الأغانى أوسماع الآلات الموسيقية، وسواء كانت أغانى الرجال أو النساء،(١)ويقرر أن تحريم السماع يعتمد على رواية الكذَّبة والمجروجين الذين لا تقوم بروايتهم حجة أو ممن يعتمدون على أقاويل قال بها من فسَّر القرآن على حسب مراده وهواه، وحاشا وكلا أن يُرْجَع إلى قول هؤلاء

وقد نقل المؤلف ماورد فى جواز الغناء من الأحاديث الواردة فى البخارى ومسلم وغيرهما كما نقل ما قاله الإمام مالك وما قاله الإمام الشافعى، ونقل

(١) السماع ص ٩

أن طائفة من شيوخ المالكية والشافعية وأصحاب الحديث وشيوخ الوعظ والزهاد حضروا مجالس الغناء.

وتحدث عن المزامير والآلات الموسيقية، وأورد الأحاديث الصحيحة بجواز استماعها، كما أورد الأحاديث التى احتج بها من يرفض السماع، ثم تناول هذه الأحاديث واحدا واحدا وبين وجه بطلانها.

وذكر المؤلف أنه اعتمد كذلك على أقوال الأئمة ومشاهير المفكرين المسلمين، ووضح أن المتقدمين كانوا أكثر تسامحا وأبعد عن التزمت فى سماع الغناء، وكذلك كان الصوفية

ومن الكلمات التى قالها المؤلف نقتبس بضعة سطور «وأماضرب الدف والاستماع إليه فنقول إنه سنة سَمِعَه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا ينكره إلاجاهل مخالف للسنة، ويصدق عليه قول الرسول« من رغب عن سنتى فليس منى[1] »(البخارى ومسلم)، وأما القول فى المزامير فقد وردت الأحاديث الصحيحة بجواز استماعها ويورد مجموعة من الأحاديث[2] رواها البخارى فى هذا الشأن

(١) ص ٥١ - ٥٢
(٢) ص ٦٣ وما بعدها

وأما ما احتج به البعض من أن قوله تعالى:«ومن الناس من يشترى لهو الحديث»(سورة لقمان الآية السادسة) وماورد فى ذلك من أن عبد الله بن العباس وابن مسعود وابن عمر كانوا يرون أن ذلك اللهو هو المزامير والسماع، فيقول المؤلف(١): لقد نظرت فى جميع هذه الروايات فلم أرفيها طريقا ثابتا إلى واحد من هؤلاء الصحابة

وفى رواة هذا القول ضعف يُبْطِل روايتهم، وهناك تفاسير أخرى لهذه الآية الكريمة تجعل لهوالحديث هو المراء والجدال بالباطل بدليل أن الرسول سمع الغناء والعزف وأجازهما، وليس لأحد رأىٌ بعد الرسول فى تصرفه وفهمه للذكر الحكيم وبمناسبة غناء المرأة نقتبس من ابن القيسرانى كلمة عن كشف وجه المرأة، فقد ذكر أن وجه المرأة ليس من العورة مادام غير معرض للإثارة، ومادامت صاحبة الوجه تعلو بكبريائها عن الشبهات، فيروى أن رجلا دخل على عثمان بن عفان وعنده إمرأة كأنها شق قمر، فقال: من هذه؟ فقالوا: امرأته، وجاءته امرأة ذات يوم فسألته فلما قامت قال: ما على رجل ما فاته من الدنيا إذا أغلق بابه على مثل هذه، فمنا من حمل ذلك على، رجاحة عقلها، ومنا من

حمله على جمالها(١) وهذا يدل على جواز كشف الوجه الجميل إذا اختفت الفتنة.

الدف والأورج:

قال لى واحد من الذين يميلون للتضييق على المسلمين

«إن الرسول صلى الله عليه وسلم أباح الدف، ولم يبح الآلات الموسيقية الأخرى. فقلت له: إن الله سبحانه وتعالى أباح ركوب الخيل والبغال والحمير فى قوله تعالى «والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة» (النحل ١٨) فهل نقف عند الخيل والبغال والحمير ولا نركب السيارة والطائرة؟

إن الآلات الموسيقية الحديثة امتداد للآلات التى كانت موجودة فى العصور الأولى، فإذا أبيحت الموسيقى فهى مباحة» أيًا كانت الآلات المستعملة فيها.

الرقص:

– أما الرقص فإن الإمام الغزالى يبيح منه مالا يثير شهوة فاسدة، كرقص الرجال وحدهم، أو رقص

(١) كتاب السماع ص ٧٥

النساء دون أن يراهن من الرجال من لا يحل لهن، وقد استدل الغزالى على الحِل برقص الحبشة والزنوج فى المسجد النبوي يوم عيد، حيث أقرهم الرسول على ذلك، وأباح لزوجته عائشة أن تتفرج عليهم وهى مستترة به

والرقص يَنْتُجُ عن إحساس داخلي والاحساس الداخلى يدفع الجسم للحركة، فإن كان الاحساس ألما بكى الانسان واهتز حزنا وان كان الإحساس سرورا تمايل جسمه بالرقص فرحا.

رأى الاسلام فى التصوير والنحت والتجسيم

وقد اتجه الفكر الاسلامى إلى الإجماع على جواز تصوير ما ليس فيه روح كالزخرفة من أوراق الشجر، والزخرفة بالكتابة وتصوير النبات والجماد، أما تصوير ما فيه روح أى الإنسان والحيوان فلم يرد عنه فى القرآن الكريم ما يجعله حراما، وقد ورد فى أحاديث الرسول صلي الله عليه وسلم ما يشير إلى منعه، فقد أنذر الرسولُ المصوِّرين بأنهم سوف يكلَّفون يوم القيامة أن ينفخوا فى صُوَرِهم الروح وليسوا بفاعلين.

ويتجه كثير من المفكرين منهم الإمام محمد عبده

والشيخ عبد الله المشد رئيس لجنة الفتوي بالإزهر سابقاً إلى ان النهى ليس للحرمة بل للكراهية بدليل أن المسلمين ترخَّصوا علي مر الزمان في تصوير ذوات الروح وتجسيدها.

ويحتاج التجسيم إلى مزيد من الدراسة، وفى تقديرى أن النهى عن تجسيد تمثال للإنسان أو الحيوان ارتبط بحالة العرب قبل الإسلام إذ كان النحت عندهم متجها لغرض صناعة الأصنام والأوثان، فأراد الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن يُبْعِد المسلمين عن هذه الصناعة وما شابهها، وكان ذلك على نسق نهيه عليه الصلاة والسلام عن زيارة القبور إذ كان بعض العرب يعبدون أرواح الآباءوالأجداد ويحجُّون لقبورهم، ويقدّسون ما وضَعوا عليها من حجارة، فلما تمكَّن الإسلام من قلوبهم ولم يعد هناك خوف من عبادة الآباء والأجداد، سمح الرسول بزيارة القبور، وقال«كنت نهيتكم عن زيارة القبور فالآن فزوروها.

(النسائى: باب الجنائز)

وربما يسأل سائل: لماذا لم يصرّح الرسول بحلّ التصوير على نحو ما سمح بزيارة القبور؟!

الإجابة أن زيارة القبور كانت فيها عظة، وكانت ضرورية لأن المسلمين يشيّعون الموتى من حين إلى آخر فيجدون أنفسهم بين المقابر مما يجعل زيارة القبور

قضية يشغلهم حلُّها، وذلك ما لم يوجد فى التصوير والنحت.

وأرى من دراسة القرآن الكريم ودراسة السُنَّة الشريفة واتجاهات السلف الصالح أن التصوير والرسم والنحت والتجسيم مباحة لأسباب خمسة هى:

أولها: أن عبادة الأحجار والأصنام عمل جاهلى انتهى عهده تماما، وقد كانت عبادة الأصنام من أهم الأسباب التى استدعت تحريم التماثيل والتجسيم.

ثانيها أن الله سبحانه وتعالى أذِنَ للسيد المسيح عليه السلام أن يصنع من الطين كهيئة الطير: قال تعالى: «وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى» (سورة المائدة.١١٠) وهذا يدل على جواز أن نصنع من الطين أو من مادة مماثلة تجسيدا لحيوان أو طائر أو ماثلهما.

ثالثها: أن القرآن الكريم حافل بالصور الفكرية التى تمثِّل بالكلمة الدقيقة أحداثا يحس الإنسان أنها يمكن ان تصوَّر أو تجسَّد للمزيد من العظة والفهم وقد أسماها الأستاذ سيد قطب فنونا فى كتابة «التصوير

الفنى فى القرآن» وأورد منها نماذج كثيرة وعلق عليها بأنها تحوى مُثُلاً من الجمال الفنى.

ومن هذه الصور قوله تعالى:« مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت»(سورة العنكبوت ٤١)

ومن هذة الصور وقوله: «ومن يشرك بالله فكأنما خرَّ السمَّاء فتخطفة الطير أو تهوى به الريح فى مكان سيحق» (سورة الحج الآيه ٣١)

وقوله تعالى فى تصوير حال المسلمين فى غزورة الخندق «إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم، وإذ زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وتظنون بالله الظنون، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا» (سورة الاحزاب الآيه ١٠)

وعن مشاهد يوم القيامة يورد القرآن الكريم صورة معبرة خطيرة قال تعالى: «إن زلزلة الساعة شئ عظيم، يوم ترونها تذهل كلُّ مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكاوى وما هم بسكارى» (سورة الحج الآية ١ -٢).

وصور أخرى وردت فى القرآن الكريم لا تقوى

ريشة على إبرازها، وقد صورتها الكلمة أروع تصوير، وخلقت فى الذهن صورة لها، واذا كانت قد خلقت فى الذهن صورة فليس هناك ما يمنع أن تصوَّر هذه الصور بريشة، شرحا للفكرة وتمكينا لها.

رابعا- تذكر الرواية الموثقة أن الله سبحانه وتعالى هو الذى زوَّج الرسول صلى الله عليه وسلم من عائشة، فقد رأى الرسول فى المنام شخصا يحمل إليه قطعة من الحرير الأخضر وقد نقشت فيها صورة، فلما كشف الشخص عن الصورة سأله الرسول: من هذه، فأجاب: هذه عائشة، وهى زوجتك فى الدنيا والآخرة....

وتقرر المصادر الوثيقة أيضا أن الرسول بعد أن عقد قرانه على عائشة وقبل الدخول بها، كان يتردد على بيت أبى بكر فيجد الراحة والأنس بعروسه الصغيرة، وكانت هى أيضاً تتوقع حضور الرسول لها، وتأسى إن أخَّرته الشواغل عن الحضور، وكان الرسول يداعبها ويعنى بعرائسها

وبَعْدَ أن دخل الرسول بها كان صلى الله عليه وسلم يسرّه أن يرى معها لداتٍ لها يلعبن معها فى بيته، وكان

يدعو الفتيات من جيلها ليحضرن لها،ويشتركن معها في اللعب بهذه العرائس(١) وهاتان الروايتان تؤكدان حل التصوير والتجسيد.

خامسها- دخل العرب مصر في فترة من هي أهم فترات الحكم الأسلامي، وكان في جيش عمرو بن العاص بعض الصحابة وقمم المفكرين المسلمين، ورأى العرب رسوما مختلفة بالمعابد المصرية لأشخاص وحيوانات، كما رأوا تماثيل كثيرة تزدان بها المعابد، ولابد أنه كان من بينها بعض التماثيل الشامخة التي لاتزال موجودة حتى الأن بالأقصر وغيرها من العواصم المصرية القديمة

والذي لاشك فيه أن المسلمين الأوائل لم يحطموا هذه التماثيل ولاطمسوا هذه الصور، ولم يمسّوها بسوء بل أدركوا من أول لحظة أنها عمل فني بقصد تخليد ذكر الأبطال والقادة وليس لها مكان في مجال التقديس والعبادة، بل إن المسلمين الأوائل بُهروا بمدينة الأقصر، وبمابها من قصور تاريخية ومشاهد عمرانيةُ ولذلك استبدلوا باسمها«طيبة» اسما يناسب ما رأوه فأسموها«الأقصر» وثبت هذا الاسم حتى الأن

(١) الرسول في بيته للمؤلف ص ٤٠

إن الدين الاسلامى دين سمح وندعو المسلمين إلى عدم تعقيده وعدم تضييق الحياة على جماعات المسلمين

ولا يزال هناك حديث مهم عن قصة الزعم بتحريم التماثيل نورده فيما يلى:

قصة الزعم بتحريم التماثيل

نشرت صحيفةُ الأخبار الصادرة يوم ١٩٩٤/٣/١٨ قصة الادعاء بأن التماثيل حرام، والقصة لها جذور سياسية، فإن الزعيم أحمد عرابى كان على خلاف واسع مع الخديوي توفيق كما هو معروف، ودفَعَه هذا الغلاف للنكاية بالخديوى فى محاولة لهدم تماثيل زعماء أسرة محمد على فكتب للمفتى سؤالا يوحى بإجابةٍ معُينةَ ومطالعة نص السؤال والإجابة تبرز ماً يلى:

أولا - كتب وكيل الجهادية (وزارة ادفاع) خطابا إلى المفتى للنظر فى مسألة هدم وحرق الصنم الموضوع بالأزبكية (تمثال إبراهيم باشا)

ثانيا - كان هذا المطلب بعد أن نزل الانجليز بالإسكندرية وقبل أسبوعين من وصولهم القاهرة.

ثالثا - أراد أحمد عرابى أن يشدُ لتأييده جحافل المسلمين الذين سيَرْون فى موقفه تمسكا بالإسلام وقيمه

رابعا – ذكر هذا الخطاب وصفاً للتمثال نصه«الصنم الموضوع بالأزبكية»

ومن الواضح أن وصفه للتمثال بأنه صنم وصف غير صحيح، فالأصنام كان يعبدها العرب قبل الاسلام وربما غير العرب ولم يحدث قط أن عبد المصريون تمثال إبراهيم باشا

خامساً– لمزيد من الإغراء ضد التمثال ذكر الخطاب أن التمثال أخذ مكان مئذنة مسجد الأزبكية

سادساً– يذكر الخطاب أن الصحابة كسروا الاصنام عند فتح مكة والمعروف أنهم حطموا معبودات الجاهلية، وليس تمثالاً وضع لتخليد ذكري بطل

سابعاً– يذكر الخطاب للإغراء بالموافقة علي تدمير التمثال أن المصائب ما نزلت علي بلادنا إلا بسبب نصب صنمي القاهرة والاسكندرية والحق التاريخي يقرر أن محمد علي كان باب النور الذي فُتِحَ لمصر بعد ظلام العثمانين والمماليك

ثامناً –كانت إجابة الشيخ المفتى مع كل ذلك أن

إقامة التماثيل مكروهة تحريما فهي لست حراما حرمة مطلقة، ولكنها تدخل في نطاق الكراهيةَ المشدَّدة التي يعبر عنها الفقراء بأنها كراهة تحريم، وقد أضاف المفتي إلي فتواه شروطا يندر توافرها فى التماثيل، فقال أن شروط كراهة التحريم أن يكون التمثال لصاحب روح (بشر أو حيوان) وأن يكون التمثال ظاهراً دون حاجة الي تأمل وأن تكون كاملة الاعضاء التي لا يعيش الإنسان بدونها، وقرر المفتي أن حكام المسلمين عليهم إزالة كل منكر في بلادهم كالتعامل بالربا والقضاء علي دور البغاءوالخمارات والمظالم والحكم بغير ما أنزل الله، وختم المفتي هذه الشروط بقوله إن أزالة هذه المنكرات أكد أي أشد ضرورة من إزالة الصور والتماثيل .

وبسبب الشروط و التردد الواضح في الفتوي لم يدمر أحمد عرابي التماثيل :

وللإمام محمد عبده في إباحة التماثيل رأي أشرنا إليه سابقاً ، وللدكتور محمد عمارة رأي يرتبط بهذه الوثيقة السابقة ، وفيه يقول:

وعن موقف الإسلام من التماثيل يقول: هذه قضية

اختلف العلماء فيها إلي فريقين

* الاول يتبنّي تفسيراً بأن تحريم هذه التماثيل يأتي من كونها معبوده وهي بذلك تمثل شركاً بالله، أما إذا لم تكن معبودة فإنها تكون مباحة، ومن أشهر العلماء المعاصرين الذين أباحوا التماثيل : الإمام محمد عبده وكتب عنها في مجلة «المنار» مشيراً إلي أن تحريم التماثيل مرتبط بتعظيمها وعبادتها، أما إذا كانت لتخليد ذكري العظماء فإنها تصبح جزءاً من ذاكرة الأمة .

وقد كانت التماثيل محرمة في بداية العصر الإسلامي خوفاً من عبادتها، ولهذا السبب أيضاً حطمها سيدنا إبراهيم عليه السلام، قال تعالى موضحاً ذلك «إذ قال ابراهيم لأبيه قومه: ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون؟ (أى مدادمون على عبادتها) قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين» (سورة الأنبياء ٥٢ - ٥٣) أما في عهد «سليمان » فكانت من نعم الله عليه حسبما ورد في قوله تعالي «يعملون له ما يشاء من محاريب **وتماثيل** وجفان كالجواب وقدور راسيات» (سبأ ١٣) وجاء فى التفاسير أن التماثيل صور مجسّمة من نحاس وغيره.
وهكذا كانت عبادة التماثيل سبباً فى تحريمها

وتحطيمها" فإذا لم تكن معبودة فهى تحفٌ من نعم الله

أما الفريق الثاني فقد انطلق في تحريمه للتماثيل من ظاهر عدة أحاديث نبوية تهاجم الصور والتماثيل . ولكن تحليل مجمل هذه الأحاديث يؤكد أن مصطلح الصورة في العهد النبوي كان المقصود به «الصنم المعبود»

وهكذا نجد السياسة هي التي دفعت هذا الموضوع لدائره التشكيك، وتغلّبَ العقلُ على السياسة ، فبقيت التماثيل رموزاً لجهود بذلها أصحابها لخدمة عامة ،لتشجِّع أبناء العصر الحالي ليعملوا بجدٍّ حتي يصلوا إلي ما وصل اليه السابقون من أمجاد

ويضاف إلى ذلك مما يدل على حل الرسم والتصوير والتجسيم أن صور كبار الشيوخ والعلماء، تملأ الصحف والكتب دون استنكار منهم، بل أصبحت الصور ضرورية فى البطاقات الشخصية وأن تماثيل العظماء توجد فى كثير من الميادين دون استنكار كذلك

تجسيم مرفوض :

وينبغى أن نذكرهنا أن الفكر إذا احتمل وجود تمثال لإبراهيم باشا أو سعد زغلول أو طلعت حرب لجهود عامة تحيى ذكرى القادة ليكونوا نماذج طيبة وقدوة حسنة للأجيال التالية، إذا احتملنا ذلك فالفكر

فى تقديرى لا يحتمل تجسيما لإنسان عادى، وقد كنت أدخل بيتا تُوفِّى صاحبه، وأقامت الزوجة تمثالا لهذا الراحل، وكنت أشمئز عند رؤيته وينتابنى شئ من الرهبة، ولهذا طلبت من الزوجة - اذا عزَّ عليها أن تتخلص من هذا التمثال - أن تغطيه بغطاء يخفيه عن الأنظار، والحق أنها استجابت لذلك

وهذا يذكرنى بجلال الدين منكبرتى ملك خوارزم حين مات مملوك له عزيز عليه، فلم يدفنه، وأجرى علاجا لجثته حتى لا تفسد، وكان يحمل الجثة معه فى رحلاته وحملاته، وقد نال هذا الملك سخط الباحثين والكّتاب لهذا التصرف المشين.

الفنون فى واقع الحياة الاسلامية:

إن هذه الاتجاهات التى ذكرناها عن إباحة الفنون انعكست على الحياة الواقعية فالتماثيل ترتفع فى عدة أقطار إسلامية دون اعتراض، نرى منها فى الباكستان تمثالا شاهقا للزعيم محمد على جناح، وفى مصر نرى تمثال إبراهيم باشا فى ميدان الاوبرا وتمثال سعد زغلول وتماثيل لطلعت حرب وعلى مبارك، ونرى التصوير والزخرفة فى المساجد والقصور وعلى الخزف

والزجاج، ومن أشهر الكتب التى برزت فيها الصور كتاب مقامات الحريرى. وعلى هذا فنحن لا نميل لتحريم الطيبات مادام لا يوجد نص لتحريمها، واعتقادى أن ذلك هو القول الفصل فى هذه الموضوع.

والحق أن الحضارة الإسلامية رعت الفنون وأولتها اهتاما كبيرا، فقد ورث المسلمون فى دمشق وبغداد والقاهرة والهند حضارة فنية رائعة من الفرس والفراعنة والهنود، وكان الإحساس الفنى عاليا عند هذه العناصر، وكانت صور الفنون تغمر كثيرا من الأمكنة وبخاصة الأثرية، ومن هنا ظهرت الفنون الجميلة فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى امتدادا لما كان موجودا قبل الإسلام، وعندما شاع تصوير ما فيه روح مكروه أو حرام أسرع الفنان المسلم إلى الزهور والأشجار ثم إلى الآيات القرآنية والفسيفساء وغيرها ليأخذ منها بديلا فى رسومه وزخرفته، وقد اهتم الفنان المسلم بتصوير المخطوطات والتصوير على الأشياء المختلفة كالخزف والزجاج والنسيج، كما شملت الحفر وصناعة الفخار

العمارة الزخرفة:

ومن الفنون الجميلة التى ارتبطت بالعالم

الإسلامى فن الخط الذى زُينت به جدران المساجد والقصور، وهناك كذلك ما عرف بالتصوير الجدارى .. (نسبة للجدران) ومن أقدم أنواع التصوير الجدارى ما ظهر فى «قصر عمرا» الذى كُشفت بقاياه فى بادية الشام، ويظن أن بانيه أحد أمراء الأمويين، وقد حفلت جدرانه بصور كثيرة حيوانية ونباتية (١) ويتجه البحث الجديد إلى أن هذا القصر كان استراحة بناها الوليد بن عبد الملك، وسقفُ هذا البناء وجدرانه مزيَّنة بموضوعات مصوَّرة وزخارف مختلفة.

ومن أهم جوانب التصوير التى اهتم بها المسلمون تصوير المخطوطات وتزيين الكتب بالصور الصغيرة والمنمنمات، ومن أشهر الكتب التى ظهرت بها هذه الصور كتاب مقامات الحريرى، وتدل الصور الموجودة فيه على مهارة كبيرة فى تصوير للجموع وحركاتها المختلفة، ودقة عظيمة فى تصوير الحيوانات(٢).

وتمتاز المنمنمات الإسلامية بالألوان الزاهية وبكثرة استعمال الذهب والفضة ومن أبرز اتجاهات الفنون الإسلامية الاهتمام بالتحف المعدنية والحلى وقد خلف لنا العصر الفاطمى بعض المباخر والتماثيل التى على شكل حيوان أو طائر

(١) دكتور زكى حسن: التصوير فى الإسلام

وخلّف لنا العصر المملوكى نماذج من التحف المعدنية الدقيقة المطعمة بالذهب والفضة كالأوانى والشمعدانات وصناديق المصاحف والمحابر وغيرها.

وفى مجال الحفر توجد عند المسلمين أعمال رائعة من الحفر فى الحَجَر والرخام والعاج والعظام، واستعمل فى مصر كثيرا حشو الكراسى والأثاث بالعاج والعظم، كما كثر الحفر الرائع على الأخشاب.

وفى مجال النسيج عُرِف العصر الفاطمى بوجه خاص بالاهتمام بالطراز، وكانت هناك دار للطراز تنتج الملابس البهيجة المزركشة التى تختلف باختلاف مكانة الأشخاص، وكانت هذه الملابس تهدى لمستحقيها فى المناسبات المختلفة، كما كانت تمثل خِلَعاً من الرضا والتقدير.

وقد اهتم المسلمون بالعمارة اهتماما كبيرا، وبرز ذلك فى المساجد والقصور، وكان مسجد دمشق كما يحكى ابن الفقيه(١) يعدُّ واحداً من عجائب الدنيا الأربع فى ذلك العهد، وقالوا إنه لو بقى الرجل فيه مائة سنة لرأى فى كل يوم أعجوبة جديدة لم يرها من

(١) كتاب البلدان ص ١٠٦

جديدة لم يرها من قبل.(٣)

وقد كانت الروعة البالغة فى العمارة الإسلامية بالمساجد والقصور، ومن أهمها الجامع الأزهر والمسجد' بان بقرطبة وقصر الحمراء بغرناطة ...... كانت من الأسباب التي دفعت بعض الباحثين المتسرٌعين إلى الحديث عن هذه العمارة على أنها الحضارة الإسلامية، والحق أنها جانب من جوانب هذه الحضارة، أما الحضارة الاسلامية فواسعة المدلول كما شرحنا فى البحث الأول من بحوث هذا الكتاب.

التمثيل والسينما واعتزال الفنانات :

لم يظهر المسرح فى العالم العربى الحديث إلا متأخرا، وقد ظهر المسرح فى مصر القديمة حوالى سنة ٢٠٠٠ ق م بمسرحية «موت أوزوريس وبعثه»

وانحط المسرح فى عهد الامبراطورية الرومانية، ثم اختفى لمعارضة الكنيسة له كالشأن فى كل الحضارات التى ضعفت عند سيطرة الرومان، ثم اختفت فى عهد نفوذ الكنيسة على ما أسلفنا من قبل.

وفى الشرق عرف المسرح عند الهنادكة وكان خاصا بطبقة الملوك والأمراء وفى إندونيسيا كان المسرح

شديد الاتصال بالدين، وكانت الدراما متصلة بالغناء والرقص وظل ذلك حتى العصر الحاضر حيث شاهدته علماً يُقدَّم للتلاميذ فى المدارس ويقومون بالتدريب عليه من حين لآخر، وهو مسرح صامت (بنتوميم).

وسمحت الكنيسة للمسرح بالعودة للحياةفى القرن الثانى عشر ولكن مع مسرحيات المعجزات، ثم ظهرت المسرحيات الفكاهية ومسرح العرائس.

ثم ظهر كُتَّاب المسرح العظام وعلى رأسهم شكسبير ومارلو، وظهرت أوبرا «حصار رودس» من تأليف وليم دافنانت ومثلت أمام جمهور صغير سنة١٦٥٦ وبها ظهرت النساء لأول مرة وهذه هى النقطة التى تهمنا هنا وسنعود لها فيما بعد.

وفى فرنسا ظهر موليير فى القرن السابع عشر ثم ظهر فولتير فى القرن الثامن عشر، ثم ظهر المسرح الإيطالى والألمانى.

وفى القرن التاسع عشر ظهرت الحركة الرومانسية، وظهر فى فرنسا فكتور هوجو والكسندر دوما، وفى انجلترا ظهر شللى وبيرون ووُجدت الدراما الاجتماعية التى تعالج مشكلات المجتمع وكان ذلك على يد برناردشو وآخرين.

وفى الولايات المتحدة ظهر ممثلون وممثلات فى القرن العشرين ولكن لم تظهر مسرحيات أمريكية، وتطور شكل المسرح تطورا عظيما.

أما المسرح العربى فقد بدأ فى سوريا ولبنان فى القرن التاسع عشر، ولما فشل هناك نزح إلى مصر، وكانت مصر تعرف الفرق الأجنبية التى كانت تمثّل للخديوى ورجاله وليس للجماهير، وكان يعقوب صنوع أول من أنشأ مسرحا بمصر وكان ذلك سنة ١٨٧٠.

ثم ظهرت السينما الصامتة ثم الناطقة فى الغرب وفى مصر

ثم ظهر مسرح سلامة حجازى ثم جورج أبيض ثم يوسف وهبى وأول امرأة ظهرت على المسرح المصرى كانت منيرة المهدية فى مسرح عزيز عيد سنة ١٩١٥، وبعد ذلك ظهر الكسار فنجيب الريحانى،

وبرزت مسرحيات شعرية مصرية ممتازة فى قمتها مجنون ليلى وعنترة ومصرع كيليوباتره للشاعر أحمد شوقى، ثم مسرحيات عزيز أباظه....

اعتزال الفنانات وما الرأى فى الفنانين؟

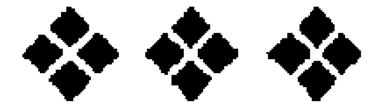
ونعود لظهور المرأة على المسرح العربى وبالتالى فى السينما فنذكر أن المرأة ظهرت فى المسرح الأوربى سنة ١٦٥٦ كما ذكرنا من قبل والمرأة لها فى أوربا حريات واسعة، والمهم أن المسرح عندما عُرف فى بلادنا فى القرن العشرين انتقلت إلى الفتيات العربيات صور كثيرة من الحريات التى حظيت بها المرأة الغرْبية، فالرقص الخليع والماكياج الصارخ والحركات المثيرة والسهر والتدخين والشرب والاختلاط المشبوه انتقلت من الغرب للشرق على خشبة المسرح، وفى السينما،وقد حاول المسرح العربى لفترة قصيرة الاحتفاظ بالقيم الإسلامية الشرقية فكانت الممثلات فى مسرحيات شوقى يظهرن بالكثير من التحفظ والحشمة، ولكن الظروف سرعان ما تغيرت فَسَرَت عدوى القرب إلى الشرق الإسلامى، وظهرت ممثلات فيهن خلاعة وإثارة وذلك ما يحرمه الشرع الاسلامى.

ومن هنا فقد اتجهت كثيرات من الفنانات إلى اعتزال الفن، وحَسَنًا فعلن، ولو كان التمثيل يجرى كما حدث فى مسرحية مجنون ليلى لكان من الممكن أن تبقى الفتيات فى المسرح أو السينما، ولكن الاختلاط والسهر، وربما الشرب والتدخين والخلاعة غلبت الجميع تقريبا ولذلك مالت بعضهن للاعتزال إذ لم يجدن فى

هذا الجو خلاصا من الانحراف الذى سطا على الجميع بدرجة أو بأخرى

والحياة الفنية غنية بأجورها ومواردها، والمال يفتن الطموحين والطموحات ويغرى بالفساد الإمن عصم الله، ويصبح المال والشهرة نقمة وكان الأولى أن يكونا من النعم التى تُشكر الله عليها.

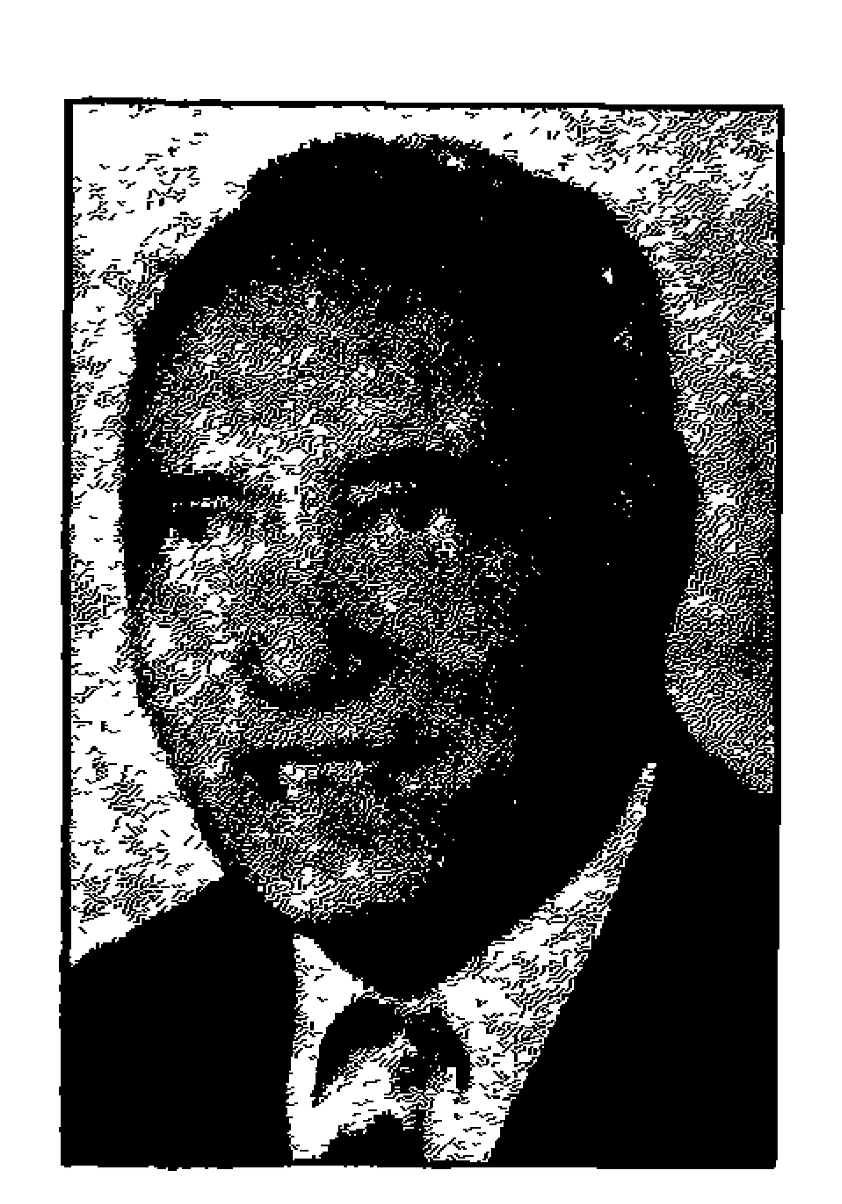
ونقرر أن الأنحرافات التى جعلت بعض الفتيات يعتزلن هى محرّمة على الرجال والنساء جميعا، ومخالفة للشريعة الإسلامية والقيم والتقاليد الشرقية، ومن هنا فالدعوة موجّهة للرجل والمرأة جميعا أن يبعدوا عن هذا الانحرافات، ونقرر أن المسرح فى ذاته كثيرا ما يعالج مشكلات اجتماعية. ويقدم المثُل الصالحة، ولكن ينبغى أن يكون دلك فى إطار المحافظة على الشريعة الإسلامية، وقيمنا وفقا لتقاليدنا وأعرافنا الشرقية، وليتذكر الفنانون والفنانات أن كثيرين ممن سبقوهم ملئوا الدينا نجاحا، ولكن فوضى الحياة التى عاشوها جعلتهم ينسون المستقبل، فلما دهمتهم الشيخوخة أمضوا ما تبقى من حياتهم فى عسر وضيق



فهرس الموضوعات

رقم الأيداع بدار الكتب
٨١٠٤ / ٩٤
I . S . B . N
977 - 200 - 02 - 0

دار الشباب للطباعة
١٥ شارع العباسية - القاهرة
ت : ٩٢٩٧٣٠



المكتبة الإسلامية لكل الأعمار

كتب يقرؤها كلُّ فرد من أفراد الأسْرَة

١٠٠ جـزء مـن سِيَـر عـظماء الاسـلام
ومـن الـتاريخ والحـضارة وقـصص القرآن

هذا الكتاب

يقدم هذا الكتاب للقارىء أفكارا جديدة ترتبط بموضوعات حيّة تعيش بيننا، وهو يبدأ بحديث قصير يعرّف بالحضارة الإسلامية، ويقدم من أقوال الغربيين والهنود ما يدل على الأثر الضخم للحضارة الإسلامية على الحضارة العالمية.

ثم يتجه الكتاب لتصحيح أفكار ترتبط بصلة الإسلام بالحضارة الغربية.

ويبرز أن الحضارة الإنسانية عندما انفلتتْ من إشراف الدين والأخلاق أصبحت مدمِّرة

ويختم الكتاب بموضوع الساعة عن علاقة الحضارة الإسلامية بالفنون(الشعر- الموسيقى والغناء- الرقص- التصويروالنحت والتجسيم- الزخرفة والعمارة- التمثيل- واعتزال الفنانات، ولماذا؟ وماذا عن الفنانين؟

إنها دراسات تحُق الحق وتبطل الباطل وتمثّل الإسلام المستنير، وتحارب تشدد المتعسفين